كتاب *الخشوع في الصلاة* لابن رجب: دراسة وصفية

رمزي سودينج تاليه
جامعة مالايا، romzi80@gmail.com

ملخص

ألَّف الحافظ ابن رجب كتابه المُختَصر "الخُشوع في الصلاة" لمَّا رَأى أن الصلاة هي عمود الدين، وإنما يَسْتقيم أَدائَها بالعنَاية بأَمر الخُشوع فيها. حيث والخشوع -في أَكثره- هو من أَعمال القلب التي يجب مَرَاعاته. فوَضَع كتابه عن الخشوع وتحدَّث فيه عن هذه الصِّفة ومظَاهِرها وطريقة نَيْلها وبعضٍ من مسائِلها بشكلٍ مُختصرٍ وسهْل؛ ولهذا كان من أهداف البحث التَّعريف بالكتاب. ودِراسة ما ذَكره من المَعَاني والفِقه. ومن نتائج البحث: أن ابن رجب نبَّه إلى أن العلم ليس هو بكَثْرته ولا بالقُدْرة على الكلام، ولكنْ هناك جانبٌ آخر له وهو "العِلم النَّافع" الذي يُباشر القلب ويُورث السَّكينة. بالإضافة إلى أن المحقِّقين وأصحاب الدُّور قد اهتَمُّوا بنَشْر كتاب ابن رجب هذا، فقد وُجِد له عدَّة طبعاتٍ وعددٌ من المحققين، كما أن الكتاب عُرف باسْمَين، ولهذا أَثبت المحقِّق طارق حِجازي الاسمَين في غلاف الكتاب. كما أن الكتابة في "الخشوع" بصفةٍ عامةٍ لم تَنقَطِع، فهناك معاصرون أَلَّفُوا في الخشوع.

الكلمات الدالة: الحافظ ابن رجب، تراث ابن رجب، الخشوع في الصلاة، صفة الخشوع

Al-Khushū' fī al-Ṣalāh by Ibn Rajab: A Descriptive Study

Abstract

Al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab authored his book "al-Khushū' fī al-Ṣalāh" *out of his awareness that al-Ṣalāh (Muslims' prayers) is the backbone of the religion of Islam and performing it in the right way is achievable by performing it with al-Khushū' (submissiveness). Mostly, al-Khushū' is a matter related to people's hearts and hence it is one of those important matters that need to be taken care of. For this reason Al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab wrote the book in which he addressed the quality of submissiveness in prayers, its characteristics, the way to obtain it and some of its issues in a brief and easy way. It is one of this paper's objectives to introduce the book as well as study its ideas and fiqh. Some of the research paper's conclusions find that Al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab pointed that knowledge is not about its quantity or the ability to articulate it, but there is another part that is the useful knowledge (al-'Ilmu al-Nafi'ah) which is directly related to one's heart, giving it peace. Meanwhile, investigators and interested parties in publishing this book by Ibn Rajab, found that there are multiple editions of it. Moreover, it was known with two names, thus Tariq Hijazi affirmed these two names in the book cover. Also, writing in*

the theme of 'al-Khushū'' is generally never vanished, thus there are a numbers of contemporary books written on 'al-Khushū''.

Keywords: *al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab, work of Ibn Rajab,* al-Khushū' fī al-Ṣalāh, *submissiveness*

المقدمة

فالصلاة من أهمِّ ما يَشْغل بَالَ المسلم؛ ولهذا فإنه يُراقِب أدائه لصلاته، لكي يُحسِّن من أَداءها ويُذكِّر نَفسه بما نَسِي من أحكامها، ويُراجِع نَفسه فيما قَصَّر فيها، ويأتِي في أَولويَّة المهمَّات للصلاة أن تُؤدَّى بخشوعٍ وطمأنينة. ويُراقب المصلِّي صلاته من ناحية أَدائها بالخشوع والخضوع لله تعالى؛ ومن هنا جاء أهمية كتاب ''الخشوع في الصلاة'' للحافظ ابن رجب (ت:٧٩٥هـ).

ومن هذه الأهمية جاءَتْ رَغْبتي بمُدَارسَة هذا الكتاب والبحث فيه والوقوف على الأحكام والمعاني المتعلِّقة بالخشوع في الصلاة، التي ذَكرها ابن رجبٍ في كتابه، كما أن في البحث بعض الإِضَافات عليه مما لم يَذكره في كتابه. وليس المراد من البحث أنْ أُنَاقش المسَائل من زَاوِيةٍ فِقهيةٍ.

وأَجرَيتُ بعض التَّعديلات في عنوان البحث[1] إلى أنْ استَقرَّيتُ على العنوان المَوْسُوم: كتاب ''الخشوع في الصلاة'' عند ابن رجب: دراسة وصفية. وقد كان البحث جزءًا واحدًا، ولمَّا رأيتُ طُول صَفحاته وإِمكانية تَجزِئته؛ قسَّمتُه إلى جُزأَين[2].

---

[1] Kuntu sammiyatuhu awwalan: (Jāniba al-Ma'ānī wa al-Fiqh al-Madzkūr fī "al-Khushū' fī al-Ṣalāh". Thumma ghayyartu ilā: (Dirāsah "kitāb al-Khushū' fi al-Salah" min haithu al-Ma'ānī wa al-Fiqh). Thumma istaqarraytu 'alā 'unwānī : (kitāb "al-Khusū' fī al-Ṣalāh" li al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab, wa dirāsatuhu min ḥaythu al-Ma'ānī wa al-Fiqh); Lamma ra'aitu anna al-'unwana yashmilu al-Mabḥathu al-Awwal min hadhā al-baḥthu, 'indamā tahaddathu 'an al-Kitāb wa ṭab'atihi. Walakin al-Mas'uliyyīn fī al-Majallah Uṣūl al-Dīn ṭalabū ba'da murāja'ah al-bahthu wa tahkīmihi- ta'dīl al-'unwani ilā (kitāb "al-Khushū' fī al-Ṣalāh" 'inda Ibn Rajab: dirāsah waṣfīyah)

[2] Fahadhā al-Baḥthu huwa al-Awwal minh. Wa al-Thānī bi 'unwāni: "al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab wa Ṭarīqatuhu fī kitābihi: al-Khushū' fi al-Ṣalāh, wa yatahaddathu 'an manhaj Ibn Rajab min al-Jānib al-Ḥadīthī fī kitābihi wa kayfa ṣana'a.

المبحث الأول: التَّعريف بالكتاب وطَبَعَاته والمُؤلَّفَاتِ في باب الخُشوع في الصلاة

المطلب الأول: مَوضُوع الكتاب، وأَقْسامُ مواضيع الكتاب

للحافظ ابنُ رجب بعض الرسائل القصيرة والصغيرة، ومنها رسالته ''الخشوع في الصلاة''. والكتاب يَتحدَّث عن الخشوع (الذي هو لُبُّ الصلاة ورُوحُها، فلا يُعرف عَظَمة الصلاة مَن لم يَذُق الخشوع فيها، وعلى قَدْر الخشوع يكون الأَجَر، وفي هذا الكتاب حثٌّ على الخشوع، وبيان أهمية الخشوع في الصلاة، مع ذِكر بعض الأشياء المعِينَة عليه)[3] وعلى هذا يكون موضوع الكتاب الأساسي هو عن الخشوع في الصلاة[4]، ولكن المصنِّف أضَاف بعض الأمور الأخرى:

فقد تحدَّث عن ''الدعا'' وعَقَد له فصلًا، وهو استطرادٌ لازمٌ؛ إذْ من الخشوع الخضُوعُ في الدعاء والسَّكينة والتَّضرع[5]. وقد ذَكر في هذا الفَصل من مظَاهر الخشوع في الدُّعاء، كافتقار القلب لله تعالى عند الدعاء[6]. وعَقَد فصلًا في ''حبِّ المساكين''، إذْ أنه من مسبِّبات الخشوع وتَرْك الكِبر[7]. وتحدثَّ عن تواضع الظَّاهر وتَكبُّر القلب[8]. ثم عَقَد فصلًا في فَضل ''مقام العُبوديَّة''، وأنه صلى الله عليه وسلم اختارَ الآخرة على الدنيا[9]. ثم استَطْرد بذِكر بعض النَّصائح والحِكَم، كحِكَم لقمان الحكيم[10]. وخَتَم بالدُّعاء والصَّلاة والسَّلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه[11]. وما ذَكرتُه من ''الاِسْتِطراد'' هو يَأتي إذا كان عنوان الكتاب "الخشوع في الصلاة". أمَّا على أن اسم الكتاب هو ''الذُّلُّ والاِنكسار''[12]. فلا تكون الأُمور المذكورة من باب الاسْتِطراد؛ لأنها داخلةٌ في أَسباب

---

3 Min mawqi'u: http://IslamHouse.com/471724. Tārīkh al-Ziyārah: (19-11-2014).

4 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* taḥqīq Aḥmad Muṣṭafā al-Ṭahāwī (al-Qāhirah: Dār al-Faḍīlah), 27-84

5 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 83-88.

6 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 85-88.

7 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 89-94.

8 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*95-97.

9 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 98-105.

10 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 106-109.

11 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 109.

12 Ya'tīal-Ḥadīth 'an hadha qarīban jiddan.

الحُصول على الذُّلِّ والإنكسار لله تعالى. وبذا يكون عنوان الكتاب أعمَّ من "الخشوع في الصلاة"، إلَّا ما كان من الحلقة الأخيرة من الكتاب -عندما ذَكَر الحِكَم والمَواعظ[١٣]- فالظَّاهر أنها استطرادٌ في كِلَا الحالتَين لعنوان الكتاب. إلَّا ما كان في النُّسخة التي قام بتحقيقها الحُلواني، فأَمرُ الحِكم والمَواعظ ليس مذكورًا فيه[١٤]!.

المطلب الثاني: طَبَعات الكتاب

وعن طَبَعات الكتاب ونُسَخِه: فتقدَّم أنْ ذكرتُ بأني -في هذا البحث- اعتمدتُ على النُّسخة التي قام بتحقيقها المحقِّق الطَّهطاوي[١٥]. وهي في كتيبٍ صغير الحَجم، من١١٢ صفحة. والكتاب له طبعاتٌ متعدِّدة منها:

طبعة دار الحرمين، وطبعة دار عمار، وقد أَحالَت رقيَّة المحَارب إلى تلك النُّسختَين[١٦].

وكما طُبع الكتاب ضِمن "مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي"، بعنَاية وتحقيق: أبي مُصعب طلعت بن فؤاد الحَلواني[١٧]. وذَكر بأن الكتاب عبارةٌ عن (مجموعٍ، فيه ثلاثون رسالة من رسائل الحافظ ابن رجب (ت:٧٩٥هـ)، جَمَعت علومًا شتى في التوحيد

---

13 ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 106-109.

14 ʻAbd al-Rahman Ibn Rajab al-Hanbali, *Al-Majmuʻ Rasā'il al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab: Taḥqīq Talat al-Ḥalwānī* (al-Qāhirah: al-Farūq al-Ḥadīthah li al-Ṭaba'ah wa al-Nashr, 2002), 1-312.

15 Min ṭabaʻah Dār al-Faḍīlah bi al-Qāhirah, kamā tuqaddimu min dhikrī malumat al-kitab.

16 ʻIndamā dhakarāt fī ihalatiha: (al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh/ Ibn Rajab ṣafhah 17 maktabah al-haramain). Yanẓur: Raqayyah al-Maharib, kayfa takhshiʻina fī al-Ṣalaḥ, (n.p.: n.p., 2009), (Maktabah al-Shamilah), 3. Wa kamā dzakarat naskhatun ukhrā faqālat *Al-Khusūʻ fī al-Ṣalaḥ, li Ibn Rajab al-Ḥanbalī*, taʻlīq ʻAlī ʻAbd al-Ḥāmid (n.p.: Dār ʻImar, n.d.). Yanẓur: Raqayyah al-Mahārib, kayfa takhshiʻīna fī al-Ṣalāh, 4. Wa al-Nuskhatu allati biyadī: min taḥqīq Aḥmad Muṣṭafā al-Ṭahawi, ṭabaʻah: Dār al-Faḍīlah, wa ya'tī al-Ḥadīth ʻan kitābuhā fī al-maṭlab al-tālī.

17 Al-Ḥafiẓ Rajab, al-Ḥanbālī, *Majmuʻ Rasāil al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab*. Wa min maʻlūmāt al-kitāb: raqmu al-Ṭabaʻah: al-ūlā. Tārīkh al-ṭabaʻah: (08/02/2002 M). Wa ʻadada al-Ajza': 2.

والفقه والتفسير والحديث والزُّهد والآداب والمَوَاعِظ والرَّقَائق والسِّيَر والتاريخ)[١٨]. ومن ضِمن ذلك الجمع، هذا الكتاب الذي أَدْرسُه وحَمَل الرقم (١٠). قال: (الرِّسالة العاشرة: ''الذُّلُّ والاِنكِسار للعزيز الجبَّار'' وهو الاسم الصَّواب لها. وتُسمَّى ''الخشوع في الصلاة'')[١٩]. واعتمَدَ في تحقيقها على ثلاث نُسخٍ خطيَّة[٢٠]. ومن هذا النَّقل، نَستفيد أن للكتاب أو الرسالة اسمًا آخر هو ''الذُّلُّ والاِنكِسار للعزيز الجبَّار''. ويَرى المحقِّق الحُلواني بأنه الصَّواب، لكن شُهرته بـ''الخشوع في الصلاة''.

ووجدتُّ للكتاب نسخةً أخرى، من طبع دار الرسالة وتحقيق طارق حجَازي، ومحقِّق الكتاب انتبَه للإشكالية الموجودة في اسم الكتاب، فذَكر في الغِلاف الاسمَين (''الذُّلُّ والاِنكِسار للعزيز الجبَّار'' أو ''الخشوع في الصلاة'')[٢١].

وفي الحديث عمَّن وَضَع عنَاوين التَّرجمة، هل هو المحقِّق أم المصنِّف ابن رجب؟ فهذه نقطةٌ يجب التَّنبه لها. إذْ أن نُسخة الطهطاوي بها تبويبٌ وعناوين. ونُسخة ''جامع رسائل ابن رجب''، خاليةٌ من التَّبويب والعنَاوين. ونُسخة التَّحقيق -تحقيق: طارق حجازي- موجودةٌ فيها كلمة ''فصل'' و''فصل'' وليست فيها التَّبويبات. فدلَّ على أن التَّبويب للعناوين من وَضْع المحقِّق الطَّهطاوي والله أعلم.

---

18 Min mawq'i: Multaqā ahl al-Ḥadīth (www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=1257). Tārīkh al-Ziyarah: (12-11-2014)

19 Multaqā ahl al-Ḥadīth, tārikh al-ziyārah 12-11-2014.

20 Multaqā ahl al-Ḥadīth, tarīkh al-ziyārah 12-11-2014. wa qad qāla: (al-Ūlā: Ma'sūrah min Jāmi'ah al-Mulk Su'ūd bi al-Raqm (672). Al-Thāniah: Ma'sūrāh min al-Maktabah al-Su'ūdiyah bi al-Raqm (86/527). Al-Thālithah: Ma'sūrah min Dār al-Kutub al-Miṣriyyah "masurat khārij al-Dār" taḥta raqm (47883).

21 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *al-Dhullu wa al-Inkisār li al-Azīz al-Jabbārī aw al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* taḥqīq Ṭāriq Ibn 'Āṭif Hijāzī (al-Qāhirah: Dār al-Risālah, 2009).

المطلب الثالث: مؤلَّفاتٌ في الخُشوع في الصلاة

وفي الحديث عن الكُتب في هذا التَّوجُّه: فممَّن سَبَق الحافظ ابن رجب في التَّأليف بكتابٍ مستقلٍ عن الصلاة، هو الإمام أبو عبد الله محمد بن نَصر المَرْوَزِي (ت:٢٩٤هـ). في كتابه ''تعظيم قَدْر الصلاة''[٢٢]. وهو كتابٌ مهمٌ في هذا الباب، يتحدَّث عن تعظيم الصلاة والذي منه الخشوع[٢٣]، ونَقَل منه ابنُ رجبٍ في بعض المواضِع[٢٤].[٢٥]

ومن المتأخِّرين ممَّن كَتب عن الخشوع: ''كيف نَخشعين في الصلاة''، من تأليف: رقية بنت محمد المحارب، ونقلَتْ من ابن رجب –عندما كانت تتحدَّث عن فضل الخشوع– أَصْل الخشوع فذَكَرت: (وأَصْل الخشوع كما قال ابن رجب: ''لِين القلب ورِقَّته وسُكونُه

---

[22]Muḥammad Ibn Nasr al-Marwazī, *Ta'ẓīm Qodr al-Ṣalāh,* taḥqīq 'Abd al-Raḥmān Ibn al-Jabbār al-Farīwā'ī (al-Madīnah: Maktabah al-Dār, 1985).

[23] Wa awwaluhu: "Bābu fī Ta'ẓīmī Qadr al-Ṣālāh wa Tafḍīlihā 'alā Sā'iri al-A'māl". Al-Ḥamd Allāh al-ladhī al-Mumtannī 'alā 'Ibādihi al-Mu'minīn bimā dallahum 'alayh min ma'rifatihi wa sharaḥa ṣadurahum li al-Īmān bihi wa al-ikhlāṣ bi al-tawḥīd li rubūbiyyatihi, wa khal'a kulli ma'būdin siwāhu, fafaraḍa jalla thanaā'uhu 'alayhim farā'iḍahu, falā ni'mata a'ẓamu 'alā al-mu'minīn bi Allāh min ni'mah al-Īmān, wa al-khuḍū' li rubūbiyyatihi, thumma al-ni'mah al-ukhrā māl-iftaraḍa 'alayhim min al-Ṣalāh khuḍū'an li Jalālih, wa khushū'an li aẓāmatihi, wa tawāḍi'an li kibriyā'ih, wa lam yaftariḍ'alayhim ba'da tawḥīdihi, wa al-taṣdīq bi rusulihi, wa ma jā'a min 'indahu farīḍatan awwala min al-Ṣalāh, (wa akhbara 'an dhalik amruhu lahum..) yanẓuru: Muḥāmmad Ibn Naṣr al-Marwāzī, *Ṭa'ẓīm Qadr al-Ṣalāh,* 1: 85.

[24]Wa ṣarraḥa Ibn Rajab bi ruju'ihi ilā "ta'ẓīm al-Ṣalāh" aw "ta'ẓīm qadr al-Ṣalāh" fi ṣafḥah 66, wa 80. Wa lam yaṣraha fī safḥah 81. yanẓur Ibn Rajab al-Ḥanbali, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh.*

[25]Wa amma al-kutub 'an al-Ṣalāh wa aḥkāmuhā fakathīrah, wa minhā 'alā sabīl al-mithāl: "Akhbāra al-Ṣalh" Man ta'lif al-Imām 'Abd al-Ghanī Ibn 'Abd al-Wāḥid al-Maqdisī (600 H). Wa huwa yu'tabara min al-ajzā'i al-Ḥadithiyyah, wa dhakara fī kitābihi ma sami'ahu min al-aḥādith al-muta'alliqah bi al-Ṣalāh wa ma yata'allaqu biha, wa dhakara Ṣalāh al-ḥājah wa Ṣalāh al-Tasābīḥ. yanẓur: 'Abd al-Ghanī Ibn 'Abd Wāḥid al-Maqdisī, *Akhbar al-Ṣalāh,* taḥqīq: Muḥammad 'Abd al-Raḥmān al-Nābilsī (Damshik: Dār al-Sanābil, 1995).
Wa minha: "al-Ṣalāh wa aḥkāmu Tārikiha" li al-Imām Muḥammad Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah (751 H). Wa hiya risālah min "120" ṣafḥatin taqrīban, jawāban liman sa'alahu, wa fīha asharatu masā'il tata'allaqu bi al-Ṣalāh, kamā sa'alahu "ḥukmu tāriki al-Ṣalāh". yanẓur: Muḥammad Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, *al-Ṣalāh wa aḥkāmu Tarkuhā* (al-Madīnah al-Munawwarah: Maktabah al-Thaqāfah, n.d.).

وخُضوعه وانكِسارُه وحُرقَته، فإذا خَشَع القلب تَبِعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعةٌ له")[٢٦] كما رَجَعتْ إلى كتاب ابن رجب واستفادَتْ منه في مواضع أخرى.[٢٧]

وممَّن كَتب في الخشوع بصفةٍ عامة: "الخشوع وأَثرُه في بناء الأمة"، لسليم بن عيد الهلالي، من طبع دار ابن الجوزي[٢٨]. ويَظهر من عنوانه أنه كتابٌ عام يتعلَّق بعبادة "الخشوع"، والتي من ضِمنها "الخشوع في الصلاة".

وممَّن كَتب في الخشوع: عبد الله المغربي وعنوان كتابه "آيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية". وقَصَد الحديث عن بعض المبادئ التربوية المستَنْبَطة من آيات الخشوع وتَطبيقَاتها التَّربوية، والكتاب يُبرِز مكانةَ الخشوع في العبادة، وفي الصلاة بصفةٍ خاصة، وأَثر ذلك على تَربية النَّشْء، مُتَّبعًا ذلك بالآيات الدَّالة على الخشوع وبَيان تفسيرها. وهو في الأصل رسالة ماجستير، من التربية الإسلامية بجامعة أم القرى[٢٩].

كما أَلَّفَ د. عدنان النَّحوي كتابًا صغير الحَجْم في الخشوع وسَمَّاه "الخشوع"، وفيه تحدَّثَ عن الخشوع بصفةٍ عامة، وخصَّ الفصل السَّادس منه بالحديث عن "الخشوع في الصلاة"[٣٠].

---

[26] Ruqayyah al-Maḥārib, Kayfa Takhshi'īna fi al-Ṣalāh, 3. Wa kalām Ibn Rajab fī: al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab, al-Khushū' fī al-Ṣalāh, 29.

[27] Aḥālat ilā Ibn Rajab 'indamā takallamtu 'an "Fadhl al-Khushū'" . Thumma istifādat minh 'an waṣfi Ibn Rajab "li al-Du'ā'" wa mawḍi'ayni fī "al-Khushū' fi al-Rukū'". Wa yuṣbiḥu 'adad tilka al-mawāḍi': "Khamsa Iḥālāt". Yanẓūru: Ruqayyah al-Maḥārib, *Kayfa Takhshi'īna fī al-Ṣalāh,* 3,4, & 32. Wa ammā al-mawḍi'u al-awwal faqad saba waanifan.

[28] Mustafīdan min: Ruqayyah al-Maḥārib*, Kayfa Takhshi'īna fī al-Ṣalāh*, 4.

[29] 'Abd Allāh bin Ḥusayn al-Maghribī, *Āyāt al-Khushū' fī al-Qur'ān wa Athāruha fī al-Tarbiyyah* ('Amman, al-Urdun: Bayt al-Afkār al-Dawliyyah, n.d.).

[30] 'Adnān Ibn 'Alī al-Naḥwī, *Al-khushū'* (al-Riyāḍ: Dār al-Naḥwī li al-Nashr wa al-Tawzi', 1995), Bada'an min ṣafḥah 205.

المبحث الثاني: الخُشوع أَهميَّتُه ومَظاهرُه ومَوانِعُه عند ابن رَجَب

المطلب الأول: في أَصْل الخُشوع

ذَكر الحافظ ابن رجب في كتابه عن ''أَصْل الخشوع'' وتعرَّض بأن الخشوع أصله من (لِين القلب ورِقَّته)[٣١]. وأن الجَوَارح بعد ذلك يَتبع القلب؛ مُستدلًا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم المشهور: «..أَلَا وإنّ في الجَسَد مُضْغَةً: إذا صَلَحَت صَلَح الجَسَد كلُّه، وإذا فَسَدتْ فَسَد الجَسَد كلُّه، أَلَا وهي القَلْب»[٣٢]

بينما عبارة الإمام ابن الجوزي: (أَصْلُ الخُشُوع: الخضُوع والتَّواضُع. وفي المُرَاد به هَاهُنا[٣٣] ثَلاثة أَقوالٍ:

أَحَدها: أنه تَرْكُ الالْتِفَات في الصلاة. قالَه عليٌّ رضي الله عنه.

والثَّاني: السُّكُون في الصَّلاة. قالَه مُجاهدٌ.

والثَّالث: النَّظَر إلى مَوَاضِع السُّجود. قالَه قَتادَة. عَرفُوا طريق النَّجَاة فَوقَفوا على قَدَم الأَدَب في المُنَاجَاةِ, فَنالَ كلٌ منهم ما رجَاهُ, فلَهُم عنده أَعْظم قَدْرٍ وَجَاهٍ).[٣٤]

ثم ذَكر ابن الجوزي بعض الأمثلة من خُشوع السَّلف[٣٥]. علمًا أن ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) متقدِّمٌ على ابن رجب الحنبلي (ت:٧٩٥هـ)[٣٦].

---

31 Wa taqaddama dhikra hādhihi al-'Ibārah, 'inda al-Ḥadīth bi anna Ruqayyah naqalat min kitāb Ibn Rajab. Wa al-'Ibārah fī: al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 29.

32 Min ḥadīth al-Nu'mān Ibn Bashīr raḍiya Allāh anh, wa qad akhrajahu al-Bukhārī fī Ṣaḥīḥihi bi raqm (52). Muḥammad Ibn Ismā'il al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī,* taḥqīq Muḥammad Zahīr al-Nāṣir (n.p.: Dār Tūqa al-Najāh, 2001), 1-20. Wa kadha Muslim.

33 Yurīdu qawl Allāhu Ta'āla: {Alladhīna hum fī Ṣalātihim Khashi'ūn} [Al-Mu'minūn: 2].

34 'Abd al-Raḥmān Ibn al-Jawzī, *Al-Tabṣirah* (Beirūt: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah, 1986), 1: 385; Wa mā arādahu madhkurun fī kitāb al-Tafsīr, Muḥammad Ibn Jarīr al-Ṭabarī, *Jāmi' al-Bayān,* taḥqīq Aḥmad Shākir (n.d.: Mu'assasah al-Risālah, 2000), 19:8-9.

35 Wa saya'tī dhikra ba'duhā inshāAllāh Ta'ālā fī: "wa numādhijun min al-Ṣalāh al-salaf".

36 Bayna wafātihimā naḥwa qarnayn min al-zamān.

وكلًا منهما عبَّرا عن المعنى بحسْب ما فَهِمَ من كلمة ''الخشوع''. فما ذكره ابن الجوزي في معاني الخشوع، كلُّها متعلقةٌ بالفِعْل، إما بِفِعْل الفِعْل ''كالسُّكُون في الصَّلاة، وقال به التابعي مجاهد''. أو تَرْكِ الفِعل وذَكر ''تَرْكُ الالْتِفَات في الصلاة، قالَه عليٌ رضي الله عنه''.

وأما ابنُ رجبٍ فنَظَر إلى أن الخشوع جانبٌ قلبيٌ في الغالب؛ ولهذا جَعَل ابنَ رجب أَصلَ معنى الخشوع بأنه متعلِّقٌ بالقلب ورِقَّتِه.

كما أن هناك أقوالًا أخرى في المسألة[٣٧].

وأما الخشوع في الصلاة: فهو (مَعنًى يَقوم بالنَّفْس يَظْهَر منه سُكونُ الأَطْرَاف)[٣٨]

المطلب الثاني: في أهميَّة الخُشوع وبَيَان مَنزِلَتِه

وفي ذِكر أهميَّة الخشوع وبيان مَنْزِلته، فقد بيَّن الحافظ ابن رجب أهميَّة الخشوع بصفةٍ عامةٍ، وفي هذا الموضوع سيكون الحديث عن الأمور التي ذَكرها ابن رجب، والتي لم يَذكرها. فأولًا أَتطرَّقُ إلى ما ذَكَره ابن رجب في كتابه، فذَكر في بيان أهميَّة صفة الخشوع ومنزلته:

أ- أوَّل ما يُرفع من الأُمَّة هو الخُشوع:

وفي هذا الباب أحاديث، كإخبار الصحابي عُبَادَة بن الصَّامِت بأن أوَّل ما يُرفع هو الخُشوع[٣٩]

---

[37] Wa hādhā min bāb al-Istiṭrād fī dhikrī aṣli "al-Khushū'" wa manahu, wa fī hādzā al-bābi: ra'ā Ibn Taymiyyah (728 H) anna al-khusū' "al-Sukūn wa al-inkhifāḍ". Mustadillan bi qawlihi ta'ālā: {wa min āyatihi annaka tarā al-arḍ khāshi'atan fa idzā anzalnā alaihā al-ma'a Ihtazzat warabāt} [fuṣilat: 39] Qālā: (fa akhbara annaha ba'da khusū' tahtazzu, wa al-ihtazazu: harakatun, wa tarbu: al-irtifā Aḥmad Khalil, *al- Mamlakah al-'Arabiyah al-Su'ūdiyah* (Dār: Ibn al-Jawzī, 1422), 74

[38] Manṣūr Ibn Yūnus al-Bahūtī, *Kishaf al-Qanā'i an Matan al-Iqnā'i* (Damaskus: Dār Kutub al-'Ilmiyyah, n.d.), 1: 392.

[39] Min ḥadīth Jubair Ibn Nufayr. Qāla: falaqitu 'Ubadah Ibn al-Ṣāmit, Qultu: Alā tasma'u ilā mā yaqūlu akhūka Abūka al-Dardā? Fa akhbartuhu bi alladzi qāla Abū al-Dardā. Qāla: "Ṣadaqa Abū al-Dardā, in Shi'ta la uhadditsaka bi awwali 'ilmin yurfa'u min al-nās? Al-khusū', yushīku an tadkhulu masjida jamā'atin fala tarā fīhi rajulan khāshi'an". Akhrajahu al-Tirmidhī fī sunnanihi bi raqmi (2653), Muḥammad 'Īsā al-Tirmidhī, *Sunan al-Tirmidhī,* taḥqīq wa ta'liq:

ب- ومن أهمية الخشوع وبيان مَنْزلته: أن الخشوع من العلم النَّافع، ومن عِلم القلب: وهو العِلم الذي يُباشر القلب فيُوجب له السَّكينة والتَّواضع والإِخْبات والخشوع لله تعالى. وإذا كان العِلم لم يُباشر القلب كان ذلك العلم من علم اللِّسان؛ ولهذا أُثر عن الحسن بأن (العلم عِلمَان: علمٌ باللِّسان، وعلمٌ بالقَلب، فعلم القلب: هو العلم النَّافع، وعلم اللِّسان: حُجَّةُ الله على ابن آدم)[٤٠]. فعلى الإنسان أنْ يَهتمَّ بعلم القلب الذي هو العِلم النَّافع. والذي منه: الخشوع والإِخْبات لله عزَّ وجل[٤١].

ج- ومن أهمية الخشوع وأهمية مَنْزلته: أن الله عزَّ وجل وَصَف العلماء بالخَشيَة:

كقوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[٤٢]. وكذا وَصَف الله العلماء من أهل الكتاب بصفة الخشوع، كقوله: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}[٤٣].

د- في الاستعاذة من قلبٍ لا يَخشَع:

ذَكر ابن رجب بأنه صلى الله عليه وسلم كان يَسْتعيذُ بالله من قلبٍ لا يَخْشع؛ ولا يَسْتعيذ إلَّا من أَمرٍ مهم[٤٤].

وأمَّا عن الأمور التي لم يَذْكرها ابن رجب في الكتاب -في بيان مَنزلة الخشوع وأهميته- ويَرى الباحث أنها مهمَّة، وأيضًا من باب الإضافة وإِثْراء هذه النقطة، وليس من

Aḥmad Muḥammad Shākir wa Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī (Miṣr: Shirkah Maktabah wa Maṭba'ah Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 1975), 23:5. Wa dhakara Ibn Rajab anna riwayah al-Nasā'ī Arjahu min riwayah al-Tirmidhī. Yanẓur al-Ḥāfiẓ Ibn, *Al-Khushū' fī al-Ṣalah*, 44-45.

[40] 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*, 47-48.

[41] 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*, 47-48.

[42] Faṭir: 28; 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*, 49.

[43] Al-Isra: 107-109; 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*, 50.

[44] 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*, 55; Muslim Ibn al-Ḥajāj al-Naysābūrī, *Ṣaḥiḥ Muslim*, taḥqīq Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī (Beirūt: Dār Iḥyā' al-Turath al-'Arabī), 4: 2088.

باب أنه يَجب على الحافظ ابن رجب بيانها؛ كون هدف كتابه أن تكون رسالةً مختصرةً، =فمن هذه الأمور:

أ- أن مَدارَ الأَخلاق المَحمُودة على خُلقَين: "الخشوع وعلو الهمة": يَرى ابن القيم بأن مدار الأخلاق المذمومة كلهَا من (الْكبر والمهانة والدناءة). وأن مدار الأخلاق المحمودة وأصلَها ناشئةٌ من (الخُشوع وعلو الهمة)[٤٥]. فيَذكر ابن القيم بأن (الأخلاق الفاضِلة كالصبر والشجاعة والتواضع والقناعة ونَحو ذلك، فَكلُّها ناشئةٌ عن الخشوع وعُلو الهمَّة)[٤٦]

ب- الخشوع من أَحسَن العبَادات وأَفْضلها: وذُكر عن الخشوع بأنه من أَفضل العبادات تَقربًا لله تعالى ومن أحسنها، وممَّا رُوي في هذا أن وَهْب بن منبَّه رحمه الله تعالى قال: (وَجدتُّ على حاشية التَّوراة اثنين وعشرين حرفًا، كان صُلحاء بني إسرائيل يَجتمعون فيقرءونها ويَتَدارسونها..) وذَكر منها: (ولا عِبادة أَحسن من الخشوع..)[٤٧].

وعن فَوائد الخشوع: فقد ذَكر بعضهم أن له اثنتي عشرةَ فائدة، منها: دليلٌ على صَلاح العبد واستقامته. يُورِث الخوف والرَّهبة من الله تعالى[٤٨].

المطلب الثالث: من مظَاهر الخُشوع في غير الصلاة

الحديث هنا عن الخشوع في غير الصلاة، لأن ما يتعلَّق بالصلاة سوف يَأتي الحديث عنه. فمن مَظاهر الخشوع في غير الصلاة، التي تَطرَّق لها ابنُ رجب في كتابه:

أ- التَّأثُّر بسَمَاع آيات القران الكريم: وفي هذا نَزَل قول الله: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}[٤٩]. ثم نَقَل قول أبي عُمران: (والله لقد صَرَف ربنا في هذا القرآن ما لو صَرَفها إلى الجبال لدحَاهَا ومحَاها)[٥٠].

---

45 Muḥammad Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah, *Al-Fu'ād* (Beirūt: Dār Kutub al-'Ilmiyah, 1973 M), 143.

46 Muḥammad Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah, *Al-Fu'ād,* 144.

47 Muḥammad Abū Ḥamīd al-Ghazālī, *Iḥyā' Ulūm al-Dīn* (Beirūt: Dār al-Ma'rifah), 4: 387.

48 Adadu min al-Mukhtaṣṣīna bi Ishrāfi al-Shaikh. Ṣālih Ibn Ḥamīd, *Nuḍroh al-Na'īm fī Makārimi Akhlāq al-Rasūl al-Karīm* (Jeddah: Dār al-Waṣīlah li al-Nashr wa al-Taujī'), 5: 1837.

49 Al-Ḥashr: 21.

ب- ومن مظاهر الخشوع لله عبادة الدعاء، وفيها عدَّة صُور: ثم تكلَّم ابن رجب أن من أنواع العبادات التي يَظهر فيها الذُّل والخشوع "عبادة الدعاء". قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[٥١]. ومن مظاهر الذُّل في الدعاء: رَفْع اليدَين[٥٢]. وذَكر ابن رجب أن من مظاهر الخشوع في الدعاء: افْتِقار القلب وانْكِساره لله والتَّذلل لله في الدعاء[٥٣]. ومن مظاهره: إظهار الذُّل له باللسان مع الإلحاح عليه[٥٤]. وذَكر بعض ما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم من الذل لله في الدعاء ونقل أَثر علي بن الحسين[٥٥].

ج- ومن مظاهر الخشوع: حبُّ المَساكين: ثم عَقَد فَصلًا، بأن من مظاهر الخشوع: حبُّ المساكين والرَّأْفة بهم. وقد سَأل محمدٌ صلى الله عليه وسلم ربَّه بأنْ يُحيِيه ويُميته مِسكينًا، والفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأَربعين سنة. وما إلى ذلك[٥٦]

د- مسألة: لِبس الثوب الحسَن لا ينافي الخضوع: ثم ذكر ابن رجبٍ مسألة: أن لِبس الثوب الحَسَن لا يَعني التَّكبر مُطلقًا؛ فقد وَرَد في الأَثر أن لِبس الثَّوب الحسَن حسنٌ وجميلٌ[٥٧]. والنهي إنما يَقع في القلب من عدم الانقياد للحق تكبرًا وعدم الاستماع للحق. وذَكر بعد ذلك أن (مَن تَرك لبس الثَّوب الحسَن تواضعًا لله وخشيَة أنْ يَقع في نفسه شيءٌ من الكِبر فقد أَحسن) فيما صَنع[٥٨]

هـ- ومن مظاهر الخشوع: الزهد في الدنيا عمومًا: ولهذا ابن رجبٍ في كتابه هذا عَقَد فصلًا في بيان مَقام العبوديَّة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم اختار الآخرة على الدنيا، وأنه اختار مقام العبودية على المُلك، وذَكر عدَّة رواياتٍ في تَخيير النبي صلى الله عليه وسلم

---

[50]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh, taḥqīq Aḥmad Muṣṭafā al-Ṭahawī,* 53.
[51]Al-Anbiya': 90; Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 83.
[52]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 83-84.
[53]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 85.
[54]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh* ,85.
[55]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 86-87.
[56]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 89-91.
[57]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 95.
[58]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 96.

بأنْ يكون ملكًا نبيًا أو عبدًا رسولًا[٥٩]. فاختار صلى الله عليه وسم أنْ يكون عبدًا رسولًا، بنُصح جبريلٍ عليه السلام له، وعندما اختار هذه المنزِلة لم يَأكل صلى الله عليه وسلم مُتَّكئًا قط حتى فارَقَ الدنيا[٦٠]. كما ذَكر حديثًا عند الإمام أحمد والترمذي بأن الله عزَّ وجل عَرَض عليه أنْ يَجعل بَطحاء مكة ذهبًا قال: ''لا يا رب، ولكنْ أَشبع يومًا وأَجوع يومًا''[٦١]. فإذنْ هذه أهمُّ مواضيع: مظاهر الخشوع في غير الصلاة، التي تَطرَّق لها ابنُ رجب في كتابه.

المطلب الرابع: من مَوَانِع الخُشوع

يَذكر ابن رجب أن الله تبارك وتعالى قبَّحَ مَن لا يَخشَع قلبه بسمَاع كتابه بقوله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}[٦٢]. وذَكر الله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ}[٦٣]. ففي الآيتين ذمٌ للقلوب التي لا تَخشع من ذِكر الله وسماع آياته.

وهناك أسبابٌ تَمنع من حُصول الخشوع في القلب، وممَّا وجدتُّ عند البحث:

١- تَركُ عِلم ''الفِقْه عن الله تعالى'':

وحذَّر الإمام الغَزالي من العِناية بعِلم الفَتَاوى والفِقه، على حِسَاب الفِقه عن الله تعالى الذي هو العلم الذي يُورث الخشوع والخَوف من الباري عزَّ وجلَّ، وذلك في مَعرض نُصحه لبعض طَلبة العلم ونحوهم، فذكر أن بعضهم (اقْتَصَر على علم الفَتَاوى وظنَّ أنه عُلم الدِّين وتَرَك كتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتَرَك أيضًا عِلمَ تَهْذِيب الأَخلَاقِ وتَرَك الفِقهَ عن الله تعالى بإدرَاك جَلَاله وعَظَمته، وهو **العلم الذي يُورثُ الخَوفَ و الهَيبةَ والخشوع**، ويَحْمِل على التَّقوى) ثم قال: (وتَرَك العُلوم التي هي أَهمَّ وهو غافلٌ

[59] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 98-102.
[60] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 102.
[61] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 102.
[62] Al-Ḥadīd: 16. Yanẓuru ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 51.
[63] Al-Zumar: 22. Yanẓuru ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 50.

مُغرورٌ، ولم يَدْر أن ذلك الفِقهَ هو الفِقهُ عن الله ومَعْرفةُ صِفَاته المخَوِّفَة والمرْجُوَّة لِيَسْتَشعرَ القَلبُ الخَوْف ويُلَازِم التَّقوى)[٦٤]

٢- عَدم الاِهتمام بأَسباب لِين القلب وتَرْك القلب يَقسُو:

وهذا كتَرْكِ التَّعرُّض للأَسباب المُوجبة لرِقَّة القلب، كالجلوس مع الفقراء ومَسْح رأس اليتيم. وفي غَير موضِعٍ، فإن الله تعالى ذَمَّ '' قَسْوةَ القُلُوبِ'' المُنَافية للخشوع كقوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}[٦٥]. (فَقَسْوةُ القَلبِ: ذَهابُ اللِّين والرَّحْمة والخشوع منه، وقُوَّة القلبِ المَحْمُودةُ غيرُ قَسْوَتِه المَذْمُومة..)[٦٦]

المبحث الثالث: الخُشوع المُتعلِّق بالصلاة حُكمُه ومُسبِّبَاتِه ومَراتِبه

المطلب الأول: حُكْم الخُشوع في الصلاة

الحافظ ابن رجبٍ لم يتطرَّق صراحةً لمسألة ''حُكم الخُشوع في الصلاة''، ولكنه ضمَّنها في رسالته وكتابه هذا. ومن هذا أنه ذَكر ''الاستعاذة من عدم الخشُوع''، وذَكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ''كان يَستَعيذ من قلبٍ لا يَخشَع''.[٦٧]

وذَكر ما مَعنى: أن أهل الكتاب لم يَنتفعوا بما في أَيْديهم ولم يَستفيدوا ممَّا وَصَل إليهم من الكتب والتَّعليمات الرَّبانية؛ لمَّا فَقَدوا المقصود منها، وهو أنْ يَصل إلى قلوبهم حلاوةُ الإيمان وأنْ يُذعنوا للحقِّ تبارك وتعالى[٦٨]

وذَكر أن الله قبَّح مَن لا يَخشع قلبه عند سماع القرآن {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}[٦٩] وذَكر أَثر ابن مسعود (ما كان بين إِسْلَامنا وبين أنْ

---

64 Bi taṣarrafu min al-Imām Abī Ḥamīd al-Ghazālī, *Iḥyā' 'Ulūm al-Dīn,* 3: 393.

65 Al-Baqarah: 74.

66 Aḥmad Ibn Taymiyyah al-Ḥarānī, *Majmū' al-Fatāwā,* taḥqīq 'Abd al-Raḥmān Ibn Qāṣim (al-Madīnah al-Munawwarah: Majmū' al-Malik Fahad li al-Ṭabā'ah al-Muṣḥaf al-Sharīf, 1995), 7: 30.

67 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāḥ,* 55. Wa tuqaddimu takhrij al-Ḥadīth.

68 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* 49.

69 Al-Ḥadīd: 16.

عُوتِبنا بهذه الآية إلَّا أربعُ سنِين)[٧٠]. فهو لم يَذكر صراحةً حكم الخشُوع، ولكنه تطرَّق لها ضِمنًا.

ولكن المحقِّق ذَكر "حكم الخشُوع في الصلاة"، ويمكن الاستفادة من موضوعه[٧١]. وذَكر أن بعض العلماء يَرون وجوب الخشوع في الصلاة، ومنهم ابن تيمية وابن القيم والغزالي. وسَاق بعض الأدلة على ذلك. وفي آخر المسألة نَقَل قول الإمام الغزالي في هذا الباب[٧٢]. واستدلَّ ابن تيمية على "وُجوب الخشُوع في الصلاة"، من الآيات العامَّة التي ذمَّتْ غير الخاشِعِين كقوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}[٧٣]. وآية {كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ}[٧٥٧٤], كما استدلَّ على إيجابه بآيةٍ خاصةٍ متعلِّقةٍ بالصلاة، وهي قوله تبارك وتعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}[٧٦]. فالخشوع المذكُور فيها (لا بدَّ أَنْ يَتضَمَّن الخشُوع في الصلاة؛ فإنه لو كان المُرَادُ الخشُوع خَارِج الصلاة لَفَسَد المَعنَى..)[٧٧].وكما استدَلَّ بآيةٍ خاصَّةٍ مُتعلِّقةٍ بالصلاة أيضًا، في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}[٧٨] إلى أنْ قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُولَئِكَ هُمُ

---

[70]'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*, 51; Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Nīsābūrī, *Ṣaḥiḥ Muslim*, 4: 2319.

[71]Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Nisābūrī, *Ṣaḥiḥ Muslim*, 9.

[72]Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Nisābūrī, *Ṣaḥiḥ Muslim*, , 12.

[73]Al-Baqarah: 143.

[74]Al-Shūrā: 13.

[75]Thumma Qāla: (Faqad dalla kitāb Allāh Azza wa jalla 'ala man alaihi mā yuhibbuhu Allāh, fainnahu madzmūmun bidzālika fī al-dīn maskhūṭun minhu dzālika, wa al-dzammu aw al-sukhtu la yakūnu illā litarki wājibin aw fi'lin muharramin, wa idza kāna ghairu al-khashi'īna madzmumina dalla dzālika 'alā wujūb al-khusū'). Al-Imām Ibn Taimiyyah, al-Qawā'id al-nūraniyyah al-fiqhiyyah, 73.

[76]Al-Baqarah: 45. Wa yu'aqqibu 'alā Ibn Rajab annahu lam yudzkaru hādzihi al-Āyah, wa innahu 'an Su'ūbati al-khusū' wa ahammiyatihi fī nafsi al-waqt. Wa yūjabu 'an hādza bi annahu arāda al-ikhtiṣār fī kitābihi la al-basṭ aw al-isti'ābu.

[77]Aḥmad Ibn Taymiyyah al-Ḥarānī, *Majmū' al-Fatāwā*, taḥqīq 'Abd al-Raḥmān Ibn Qoṣim, 73-74.

[78]Al-Mu'minūn: 1-3.

الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[٧٩]. وذَكر أن الله ذَكر الخِصَال الواجِبة والتي من ضِمنها الخشوع في الصلاة[٨٠]

ومن باب الإضافة على ما ذَكره الحافظ ابن رجب في هذا المطلب، أن ممَّا هي قريبةٌ من المسألة السَّابقة مسألةُ: (حُكم مَن نَقَر الصلاة ولم يُتمّ ركوعها ولا سجودها؟)

وعندما ذَكر ابن القيم هذه المسألة، قال: بأنها (مسألةٌ قد شَفَى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وكفَى, وكذلك أصحابه من بَعده فلا مُعدِّل لناصحٍ نفْسه) ثم سَاقَ ابن القيم ''حديث المُسِيء صلاته'' الدَّال على وُجوب الطَّمأنينة في الأَركان[٨١]. وقال: (وفيه دليلٌ على وجوب الطَّمأنينة وأن مَن تَرَكَها لم يَفعَل ما أُمر به فيَبقى مُطالبًا بالأَمر, وتأمَّل أَمرُه بالطَّمأنينة في الرُّكوع والاِعْتدال في الرَّفع منه)[٨٢].

وفي حقِّ مَن أَتى بأَركانها وأَخلَّ بصلاته، يقول: (وهذا وإنْ لم يُؤمَر بإعادة الصلاة عند أَكثر العلماء، لكنْ يُؤمَر بأنْ يَأْتِي من التَّطوُّعَات بما يَجْبُر نَقْصَ فَرضِه)[٨٣]. فعلَى المصلِّي أنْ يُحاول جاهدًا بأنْ يَسُوق قلبه للخشوع، (فكلُّ مَن خَشَع قَلبُه خَشَعَت جَوارِحُه ولا يَنْعكِس؛ ولهذا قيل: ''إيَّاكُم وخُشوع النِّفَاق''..)[٨٤]. كما إن من المَعلوم أن مَن (حَافظَ على الصَّلوات بخُشوعِها البَاطِن، وأَعمَالِها الظَّاهرَة، وكان يَخْشى الله الخَشْيةَ التي أَمَره

[79] Al-Mu'minūn: 9-11.

[80] Qāla Shaikh Islam Ibn Taymiyyah: (Akhbara subḥānahu wata'ālā anna hā'ulā'ahum alladzīna yaritsunā firdaus al-Jannah. Wa dzālika yaqtaḍī annahu la yaritsuhā ghairuhum, wa qad dalla wujūb hādzihi al-khiṣāl, idzā lau kāna fīhā ma huwa mustahibbun lakānat jannah al-firdaus turāts bidūnihā, li anna jannah tunālu bi fi'lin wajibāt dūna mustahbbāt, wa lihādza lam yudzkar fī hādzihi al-khiṣāl illā mā huwa wājibun, wa idzā kāna khusū' fī al-Ṣalāh wāiban fa al-khusū' yataḍommanu al-sakīnah wa al-tawāḍi'a jamī'an). Aḥmad Ibn Taymiyyah al-Ḥarānī, *Majmū' al-Fatāwā,* 74.

[81] Muḥammad Ibn Ismā'īl al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī,* taḥqīq Muḥammad Zahir al-Naṣīr, 757, 1: 125.

[82] Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah, *Al-Ṣalāh wa Ahkāmu Tarkuhā,* 119.

[83] Aḥmad Ibn Taymiyyah al-Ḥarānī, *Majmū' al-Fatāwā,* 7: 31.

[84] Aḥmad Ibn Taimiyah al-Ḥarānī, Majmū' al-Fatāwā, 7: 367-368; 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāḥ,* 36.

بها؛ فإنه يأْتي بالوَاجِبات ولا يأْتي كَبيرةً)[٨٥]. فذَكر ابن تيمية مُصطلح "خُشوع البَاطن" ويُريد خشوع القلب الحقيقي لا النِّفاق ولا التَّكَلُّف فيه.

المطلب الثاني: مُسَبِّبات الخُشوع في الصلاة ومَراتِبه، ونمَاذِجٌ من صلاة السَّلَف

والنِّسبة لمسَبِّبات الخشوع في الصلاة:

فابن رجبٍ لمَّا ذَكر مظاهر الخشوع أو شيئًا من هذا، ذَكر أن البعض يَخشع لأجل الخوف من الله، وهناك أناسٌ يَخشعون لأجل محبة الله[٨٦]. فهذا انبعاثٌ أو مُسبِّبات الخشوع بأن فلانًا يَخشع لأجل محبَّته سبحانه، وفلانًا يَخشع لأجل الخَوف منه وهكذا. وهذا الأمر يَتعلَّق بمعرفة وفَهم أسماء الله الحسنى. فمَن فَهِم أن الله شديدُ العقاب وما ذُكر لله تعالى من صِفات القوَّة أَدركَ خَوفه, ومَن أَدرك معاني المحبة لله تعالى تمسَّك بمقام حبِّ الله جلَّ وعلَا وما إلى ذلك؛ ولهذا قال ابن رجب: (ويَتَفاوت الخشوع في القلوب بحَسب تَفَاوت مُشاهدة القلوب للصِّفات)[٨٧].

وأما عن مراتب الناس في الصلاة من ناحية خشوعهم وأَدائهم لها، فإن الحافظ ابن رجبٍ لم يَتحدَّث عن هذا، ولكنْ اشْتُهر عن الإمام ابن القيِّم بأنه قَسَّم الناس في الصلاة على خَمسِ مَراتب:

أحدها: مَرتبة الظَّالم لنفسه المفرِّط وهو الذي انتَقَص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها. فهذا القسم الأول مُعاقبٌ.

---

[85] Aḥmad Ibn Taymiyyah al-Ḥarānī, *Majmū‘ al-Fatāwā*, 7: 31.

[86] Wa hādzā indamāqāla: (faman khāshi‘i li quwwati muṭāla‘atihi li qarbi Allāh min ‘abdihi wa iṭlā‘ihi ‘alā sarrihi wa damīrihi almuqtaḍī li istiḥāi min Allāh ta‘āl wa murāqabatihi fī al-harakāt wa al-sakināt. Wa man khāshi‘i li muṭāla‘atihi lakumā lahu wa jamāluhu al-muqtaḍi li istighraqī fī maḥabbatihi wa al-shauq ilā liqā’ihi wa ru’yatihi. Wa man khāshi‘īn li muṭāla‘atihi shiddati baṭshihi wa intiqāmihi wa iqābihi al-muqtaḍī li al-khauf minhu. Wa huwa subḥānahu Jābir al-munkasirah qulūbuhum min ajlihi, wa huwa subḥānahu yataqarraba mimman yunājīhi fī al-Ṣalāh ‘Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū‘ fī al-Ṣalāh*, 38.

[87] ‘Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū‘ fī al-Ṣalāh*, 37.

الثاني: مَن يُحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنْ قد ضيَّع مجاهدة نفسه في الوَسْوسة، فذَهب مع الوسَاوس والأَفكار. وهذا القسم محاسبٌ.

الثالث: مَن حافَظ على حدودِها وأركانها وجاهَد نفسَه في دَفع الوَساوس والأفكار، فهو مشغولٌ بمجاهدة عدوِه لئلَّا يُسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد. وهذا القسم مُكفَّرٌ عنه.

ثم ذَكر الرابع: (مَن إذا قام إلى الصلاة أَكمَل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلَّا يضيِّع شيئًا منها، بل همُّه كلُّه مصروفٌ إلى إقامتها كما يَنبغي وإكمالها وإتمامها، قد استَغْرق قلب شأن الصلاة وعبودية ربه فيها. وأهل هذا القسم مُثابون).

الخامس: مَن إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أَخذ قلبه ووَضَعه بين يدَي ربه عزَّ وجلَّ ناظرًا بقبله إليه مراقبًا له ممتلئًا من محبَّته وعظَمته، كأنه يَراه ويشاهده، وقد اضمحَلَّت تلك الوَسَاوس والخطوات وارتَفَعت حُجُبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم ممَّا بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغولٌ بربه عز وجل قَرِير العَين به. وهذا القسم الخامس مُقربٌ من ربه؛ لأن له نصيبًا ممَن جَعَلت قرَّة عينه في الصلاة، فمَن قُرَّت عينه بصلاته في الدنيا قرَّت عينه بقُربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقُرَّت عينه أيضًا به في الدنيا[٨٨].

وأما عن بعض النَّماذِج من صلاة السَّلَف، الذين ضَرَبوا أَمثلةً رائعةً في الصلاة لله بخُشوعٍ وطمأنينةٍ فكثيرةٌ ومشهورة[٨٩]. ولم يُورِد المؤلِّف ابنُ رجبٍ من تلك النَّماذج إلَّا نموذجَين.

---

[88]Muḥammad Ibn Qayyīm al-Jawziyyah, *al-Wābil al-Saib min al-Kalām al-Ṭayyib*, taḥqīq Sa'īd Ibrāhīm (al-Qāhirah: Dār al-Ḥadīth, 1999), 23

[89]'Abd al-Raḥmān Ibn al-Jawzī, *Al-Tabṣirah*, 1: 385; [89]Muḥammad Ibn Qayyīm al-Jawziyyah, *al-Wābil al-Saib min al-Kalām al-Ṭayyib*, 1: 385; 'Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*, 82; Abi Na'īm Aḥmad al-Aṣbahānī, *Ḥilyah al-Awliyā' wa Ṭabaqāt al-Aṣfiyā'* (Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, 1988), 8: 74.

الأول، عندماسأَلَ عِصَامُ بن يوسف البَلْخِي (ت: ببَلْخ، ٢١٥هـ) العابد الزَّاهد حاتِمَ الأَصَمَّ (ت: ٢٣٧هـ) عن صلاته، فذَكر بأنه حين يَمشِي إلى الصلاة يَمشِي بالسَّكِينة، وعندما يُكبِّر للصلاة يَستَصْحِب النية ويَتذكَّر عَظمةَ الله عند تَكبيره، ويَتفَهَّمُ ويَتفكَّرُ ما يَقرأُ في صلاته، ويَركعُ لله مُتخَشِّعًا، ويَسجدُ لله مُتواضعًا[٩٠].[٩١]

والثاني، أن ذَا النُّون العابد (ت: بمصر، ٢٤٥هـ) رحمه الله تعالى قال في وَصْف العبَّاد المصلِّين: (لو رَأيتَ أحدَهم وقد قامَ إلى صلاته، فلما وَقَف في مِحرَابه واستَفتَح كلَام سيِّده، خَطَر على قَلبِه أن ذلك المقَام هو المقام الذي يَقوم الناسُ فيه لربِّ العالمين، فانْخَلَع قلبه وذَهَل عقله)[٩٢]. بمعنى: أنهم يُشبِّهون قيامَهم للصلاة كوُقوفِهم بين يدَي ربِّ العالمين يوم القيامة، فتَخْشَع قلوبهم وجَوارحهم وتَذهلُ عقولهم. ويَتذكَّرون هَول الوقوف بين يدَي الله تعالى يوم الحِساب.

---

[90] ‘Inda Ḥadīthuhu ‘an “Ṣalāh al-Ṣāliḥīna” wa al-Qiṣṣah batmāmihā (Marra aṣāma Ibn Yūsuf biḥātimi al-Aṣāma rahima Allāh ta‘ālā. Wa huwa yatakallamu fī majlishi. Faqāla: ya ḥātimu, tuḥsinu tuṣallī? Qāla: na‘am. Qāla: kayfa tuṣallī? Qāla ḥātim: aqāmu bi al-amri, wa amshī bi al-sakīnah, wa adkhulu bi al-niyyah, wa ukabbiru bi al-uẓmah, wa aqra’u bi al-tartīl wa al-tafkīr, wa arka‘u bi al-khusū‘ wa asjudu bi al-tawāḍu‘, wa usallimuhā bi al-ikhlas ilā Allāh ta‘ālā, wa akhāfu yutaqabbala minni ! faqāla: takallam, fa anta tuḥsinu an tuṣallī). ‘Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū‘ fī al-Ṣalāḥ*, 82

[91] Wa qad sāqa al-imām Ibn al-Juazī Hādzihi al-Qiṣṣah aiḍan, lakin dzakarahā bi al-sanad haitsu qāla: (Akhbarnā al-Muḥammad Ibn Nāṣir wa Ibn al-Bāqī, Qāla: Anbaanā Aḥmad Ibn Aḥmad, akhbaranā Abū Nu‘aim al-Ḥāfiẓ, Akhbaranā ‘Abd Allāh Ibn Muḥammad Ibn Ja‘far Ibn al-Ḥusaini al-Rābī an riyāh Ibn Aḥmad al-Harawiyyī, Qāla...). al-Imām Ibn al-Jawzī, Tabṣirah, 1: 386, wa Ibn al-Juwaizī bi hādhā al-sanad, yarwī an Abī Nu‘īm al-Ḥāfiẓ min kitābihi “ Hulliyah al-Awliyā” wa al-Qiṣṣah wa al-sanad madzkur fīhī. Yanẓūr: Abī Na‘īm Aḥmad al-Aṣbahānī, *Hilyah al-Awliyā wa Ṭabaqāt al-Aṣfiyā’*, 8: 74
Kamā anna al-Imām Ibn Jauzī Indamā Sāqa hādhihi al-Qiṣṣah, allaqa bitaqlīqi mukhtasirin ba‘dahā. Ḥaitsu qāla- Ba‘da an awradahā: (yā hādha, bayna ṣalātika wa ṣalātihim, kamā baina waqtika wa awqātihim). Al-Imām Ibn Jawzī, *al-Tabṣirah*, 1: 386

[92] ‘Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū‘ fī al-Ṣalāh*, 67.

واقْتِصار الحافظ ابن رجبٍ على النَّموذجَين من صلاة الصَّالحين وخُشوعِهم فيها، إنما هو لسبب أن رسالته رسالةٌ مقتَصَرَةٌ غير مطوَّلة، وأن رسالته هذه لا تُناسِبها الإسهَاب. ذلك أن قِصصَهم مشهورةٌ ولا تَخْفى على رجلٍ مُطَّلعٍ كالحافظ ابن رجب.

المبحث الرابع: من مظَاهِر الخُشوع في الصلاة ودَلَالَاته ومَقامَاته

المطلب الأول: من مظاهر الخشوع عند الصلاة

ذَكر الحافظُ ابن رجبٍ عدَّة مظاهر للخُشوع في الصلاة، وقد صرَّحَ في كتابه: إلى مَظْهر النَّهي عن الإلْتفات في الصلاة. وأطَال -بعض الشَّيء- في ذِكر النُّصوص في هذا.

وذَكر أن الإلتفات في الصلاة متَّجهٌ إلى أمرَين: الأول: الإلتفات القلبي، بمعنى: اِلتفاتُ القلب إلى غير الله تعالى. والثاني: وهو الإلتفات بالنَّظَر يَمْنةً ويَسرةً، وأنْ يَقصُر النَّظر إلى مؤْضِع سُجوده[93]. فهذا المَظْهر تحدَّثَ عنه وذَكر النصوص فيه؛ إشارةً إلى أهميته.

كما ذَكر أن من مَظاهر الخشوع فيها: أن الركوع والسجود فيهما مَعْنى الذُّلِّ لله تعالى بظَاهِر الجَسَد، وذَكر مظاهر الخشوع عند الوقوف، وسيأتي الحديث عنهم.

وما تقدَّم مَظَاهر للخشوع في الصلاة صرَّح بها، وهناك مظاهرٌ أشَارَ إليها، كأنْ تُذكر في قول أحد المفسِّرين، ومن هذا الباب: النَّظَر إلى مؤْضِع السجود، وغَضِّ البَصَر[94]، ولِينِ الكَتِف في الصلاة. مِثلَ نَقْله لقول عليٍ رضي الله عنه في قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}[95]. قال: (الخشوع في القلب، وأنْ تَلِين كَنَفَك للمرء المسلم، وأنْ لا

---

[93] Wa kadhā qāla qablahā al-Imām Ibn al-Qoyyim: (al-Iltifāt al-manhiyyu ‘anhu fī al-Ṣalāh qismāni: aḥaduhumā: iltifāt al-Qalbi ‘an Allāh Azza wajalla ilā ghairu Allāh Ta‘ālā. Al-Tsānī: iltifāt al-Baṣr, wa kilāhumā manhiyyun ‘anhu). ‘Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū‘ fī al-Ṣalāh*, 68-74.

[94] Ghaḍḍu al-Baṣr masalatun khilāfiyah, wa dzakara muḥaqqaqu al-kitāb. Bi annahu Jumhūr al-ulamā ila jawāzi taghwīdu al-‘Aini fī al-Ṣalāh fī ḥālati idzā kāna yaḥṣilu muṣalli al-khusū‘ bi dzālika. Yanẓuru ‘Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushū‘ fī al-Ṣalāh*, 20.

[95] Al-Mu’minūn: 2

تَلْتَفتَ في صلاتك)[٩٦]. وقول الحسن البصري رحمه الله: (كان الخشوع في قلوبهم فغَضُّوا له البَصَر في الصلاة)[٩٧]. ثم ذَكر صلاة الصَّالحين[٩٨]

المطلب الثاني: دلالة الوقوف في الصلاة على الخشوع ومقاماته

ذَكر الحافظُ ابن رجبٍ عدَّة مظاهر للخشوع في الصلاة، منها ما يَتعلَّق بالوقوف في الصلاة وأشار إلى أن من مظاهر الخشوع لله عند الوقوف في الصلاة:

١ – وَضْع اليدَيْن على الصَّدْر في القِيام: فذَكر أن (ممَّا يَظهَر فيه الخُشوع والذُّلُّ والإنكسار من أَفعال الصلاة: وَضْع اليدَيْن إحداهما على الأُخرى في حَال القِيام). وأن الإمام أحمد سُئل عن هذا فقال: (ذُلٌ بين يدَي عَزيز)[٩٩]. وذَكر الحافظ ابن رجبٍ أَثَرًا في هذا الباب عن بِشْر الحَافي وامتِناعه من وَضْع اليدَيْن على الصَّدر؛ مخافةَ أنْ يَظْهر ما ليس في قَلبه من الخشوع[١٠٠].

ب– وتَذَكُّر مَقام الوُقوف بين يدَي البَاري يوم القيامة: فعلى الإنسان أنْ يَسْتَشْعر وُقوفه في الصلاة بتَذَكُّر (وُقُوفه بين يدَي الله تعالى للحِساب)[١٠١].

96 ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 32.

97 ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 34.

98 Wa al-Ḥadīth ʻan al-Ṣalāh al-Ṣāliḥīna qad tuqaddima fī: "wa namādzijun min Ṣalāh al-salaf".

99 ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāḥ*, 65.

100 ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāḥ*, 64.

101 ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāḥ*, 67. Wa fī hādzā yaqūlu Ibn al-Qayyīm: (lā yastawī [Ṣalāh al-Mutalaffit maʻa Ṣalāh] al-ḥādir al-qalbi al-muqbilu alā Allāh Taʻālā fī Ṣalātihi. Alladhī qad ashʻuru qalbihi ʻaẓmatun man huwa waqif baina yadaihi. Famtalaʼa qalbuhu min haibātihi, wa dzallat unuquhu lahu, wa istahyī min rabbihi Taʻālā ʻan yaqbala ʻalā ghayrihi aw yaltafit ʻanh. Wa baina Ṣalātihimā, kamā qāla Ḥasan ʻAṭiyyah " innā rajulaini layakunāni fī al-Ṣalāh al-wāḥidah, wa anna mā bainahumā fī al-faḍl kamā baina al-samā wa al-arḍ, wa dzālika anna aḥaduhumā muqbilun alā Allāh Azza wa jalla, wa al-akhīr sahin ghafil). Muḥammad Ibn Qayyīm al-Jawziyyah, *al-Wabil al-Saʻīb min al-Kalām al-Ṭayyib*, 21.

المطلب الثالث: دلالة الركوع على الخشوع ومقاماته

ذَكر ابنُ رجبٍ أن في الركوع مَعْنى الذُّلِّ لله تعالى بظَاهِر الجَسَد؛ وأشار إلى أن بعضَ العرب كان يَأْنَف منه؛ قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ}[102]. وأما المصلِّي لله تعالى الخاشِع له، فهو لا يَأْنفُ من هذه العبادة، بل يَركعُ لله تعالى مُتذلِّلًا له بظَاهر الجسَد، والخضوع والخشوع لله قلبًا وقالبًا؛ فهذا حالُ المؤمن عندما يركع لربِّه تبار وتعالى[103].

وكما ذَكر بأن من تِمام الخُضوع فيه: خُضوع القلب تعالى، فإذا خَشَع ملكُ الأعضاء، خَشَعت بقيَّةُ الجَوارِح والأَعْضاء تَبعًا لخشوع القلب؛ وبذَا يَتمُّ خُشوع الظَّاهر مع الباطِن[104]. ولكي تَتمُّ هيئة الركوع على كمَالِها وتمامِها من معنى "الخضوع لله تعالى"؛ فإن جمهور الفقهاء يذكرون بأن (أَكْمَل هَيْئات الرُّكوع أنْ يَنْحَني المصلِّي بحيثُ يَسْتوِي ظَهرُه وعُنُقُه، ويَمُدَّهما كالصَّحِيفَة، ولا يَخْفضُ ظَهرَه عن عُنُقِه ولا يَرْفَعه، ويَنْصبُ سَاقَيْه إلى الحَقْوِ، ولا يَثْني رُكْبَتَيْه..)[105]. ويَرى ابن تيمية بأن الخشوع فيه سُكونٌ وانْخِفاضٌ؛ لمَّا رَأى أن في هَيْئة الركوع خضوعًا وأنه وَرَد في تلك الهَيْئة أنْ يقول كما وَرَد[106]: "وإذا رَكَع صلى الله عليه وسلم، قال: «اللهمَّ لكَ رَكَعتُ، وبكَ آمَنتُ، ولكَ أَسْلَمتُ، خَشَع لكَ سَمْعِي، وبَصرِي، ومُخِّي، وعَظْمي، وعَصَبِي»[107].

ومن مقَام الركوع في الصلاة: تَعظيمُ الله تعالى فيه؛ وقد أَشار ابنُ رجبٍ إلى هذا المعنى[108]، غير أن أَصْرحَ ما في الباب، ما رواه ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما قال: كَشَف

---

[102] Al-Mursalāt: 48.

[103] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāḥ*, 74-75.

[104] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 75-76.

[105] Wazarah al-Awqaf wa al-Shu'un al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 23: 129.

[106] Ibn Taymiyyah, *al-Qawā'id al-Nuraniyyah al-Fqhiyyah*, 74. Wa taqaddama tarafun min hadhā fi: "Aṣl al-khushū'".

[107] Muslim, *Sahih Muslim*, raqm ḥādīth: 771. Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim: Taḥqīq Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī,* 1: 535.

[108] 'Indamā qāla: wa min tamāmi al-khusū' al-'abd Allāh Azza wa jalla wa tawadi'ihi lahu fī rukūihi wa sujūdihi. Annahu idzā dzalla lirabbihi bi al-rukū' wa al-sujūd, wasaufa rabbahu hinaidzin bi sifātin al-Izzi wa al-kibriyai wa al-aẓmah wa uluwu, fakannahu Muḥammad Ibn Ismā'īl al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī,* 771; Muslim Ibn al-Ḥujāj al-Naysābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim,* 1: 535.

رسول الله صلى الله عليه وسلم السِّتَارةَ والناسُ صُفوفٌ خَلْف أبي بكر. فمَّا قال: «..أَلَا وإِني نُهِيتُ أنْ أَقرَأَ القرآنَ رَاكعًا أو سَاجدًا، فأمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّمُوا فيه الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، وأمَّا السُّجودُ فَاجْتَهدُوا في الدُّعاءِ، فَقمِنٌ أنْ يُسْتجابَ لكم»[١٠٩]. ولهذا وَرَد عدَّة صِيَغٍ من الأدعية من معَاني تَعظيم الله تعالى في الرُّكوع:

أ- «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلَائِكةِ والرُّوحِ»[١١٠].

ب- وفي حديث عَوْفِ بن مالكٍ رضي الله عنه أنه قال: قُمتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً، فلمَّا رَكَع مَكَث قَدْرَ سُورةِ البَقَرَةِ يَقول في رُكُوعه: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرِيَاءِ والعَظَمَةِ»[١١١].

المطلب الرابع: دلالة السجود على الخشوع ومقَامَاته

ثم ذَكر ابنُ رجبٍ ما في السُّجود لله من معَاني الخُشوع والخُضوع له، حيث وَضَع المصلِّي أَشْرفَ أَعضَائه في الأرض عبادةً لله تعالى[١١٢]. وأنه اسْتَكَان لله تعالى بخلاف الشيطان لمَّا طُلِب منه أَبَى، وبخلاف كفار قُريشٍ عندما طُلب منهم السُّجود أَبَوْا واسْتَكبروا[١١٣].

كما أن في السجود فيه ذُلُّ العبد لربِّه حينما يَصِف ربَّه بصِفة العزَّة والجَبرُوت[١١٤].

فالسُّجود: من أَظْهر مَعاني الخُشوع والذُّلِّ لله عزَّ وجل، بأنْ جَعَل المسلم أَشْرف أَعضَائه وأَعلاها حقيقةً، فوَضَعه في التُّراب مُتَعفِّرًا؛ اِسْتكَانةٌ وذُلٌ لله عزَّ وجل خالق الإنسان والأَكْوان[١١٥].

---

[109] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh,* 78.

[110] Akhrajahu Muslim fī Ṣaḥīḥ, bi raqmi: 479. Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim,* 1: 535.

[111] Akhrajahu al-Nasā'ī fī sunanihi, bi raqmi: 1049. Aḥmad Ibn Shuʻayb al-Nasā'ī, *Sunan al-Nasā'ī,* taḥqīq ʻAbd al-Fattaḥ Abū Ghudah (Halab: Maktab Maṭbāʻah al-Islamiyah, 1986 M), 2: 191.

[112] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh,* 76.

[113] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh,* 77.

[114] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh,* 78. Wa taqaddama fī rukuʻ.

[115] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh,* 76.

وكذا الإمام ابن القيم تَحدَّثَ عن هذه النُّقطة. فذَكر أن العبد إذا سَجَد يَتمثَّل له (حقيقة التُّراب الذي خُلق منه، وهو يَضَع أَشْرف شيءٍ منه وأَعْلاه وهو الوَجْه, وقد صار أَعْلاه أَسْفله خضوعًا بين يدَي ربه الأعلى، وخشوعًا له وتذلُّلًا واستكانةً لعزَّته، فأُمر بالسجود إذْ هو غاية خشوع الظاهر، وأَجْمع العبودية لسَائِر الأعضاء؛ فيُعفِّر وجهَه في التراب استكانةً وتواضعًا وإلقاءً باليدَين)[116].

وذَكر ابن رجب أن الاِمتناع عن السجود كِبرٌ وتَشبُّهٌ بصفة إبليس عندما طَلب الله منه فامتَنَع أَنفةً وكِبرًا؛ ولهذا هو يَبكي إذا السَّاجد سَجَد[117]. ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قَرَأ ابنُ آدَم السَّجْدَة فَسَجَد اعْتَزَل الشيْطانُ يَبْكي، يقول: يا وَيْلَه أُمِر ابنُ آدَم بالسُّجود فَسَجد فلَه الجنَّةُ، وأُمِرت بالسُّجود فأَبَيْتُ فلِيَ النَّارُ"[118]. وفي هذا المعنى يَذكر ابن القيم أن العبد (لو تُرِك لطَبْعه ودَوَاعي نَفسه لتَكبَّر وأَشَر، وخَرَج عن أصله الذي خُلق منه، ولَوَثَب على حقِّ ربه من الكِبرياء والعَظمة فنازعه إياهما؛ فُأمر بالسجود خضوعًا لعظمة ربه وخشوعًا له وتَذلُّلًا بين يدَيه وانْكسارًا له)[119].

كما أشَار ابن رجب إلى أن من فضَائِل السجود: قُرْب العَبد من ربِّه تعالى[120]. فمن معَاني السجود ومقَامَاته: استِحْضار السَّاجد قُرْبه من ربِّه تبارك وتعالى؛ ولهذا فإن من مقَام السجود في الصلاة: مقَام الدُّعاء فيه. وفيه نصٌ صريحٌ بأنه صلى الله عليه وسلم طَلَب الإكثار من الدعاء عند السجود؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَقْربُ ما يَكونُ العَبدُ من رَبِّه، وهو سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[121].ثم ذَكر ابن رجب بأن العبد إذا سَجَد فإنه يَشهَد مَقام العُبودية بأنْ يَصِفَه بصِفات الكَمال

[116]Muḥammad Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah, *Al-Ṣalāh wa Aḥkāmu Tarkuhā*, 148.
[117]Muḥammad Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah, *Al-Ṣalāh wa Aḥkāmu Tarkuhā*, 177.
[118] Al-Ḥadīth Akhrajuhu Muslim fī Ṣaḥīḥ, bi raqmi 81. Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim*, 1: 88.
[119]Muḥammad Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah, *Al-Ṣalāh wa Ahkamu Tarkuhā*, 148.
[120]ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāh*, 76. Wa ya'ti dhikra al-Ḥadīth.
[121]Akhrajahu Muslim fī Ṣaḥīḥ, bi raqmi: 482. Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim*, 1: 350. Wataqaddama ḥadīth Ibn ʻAbbas ʻInda al-Ḥadīth ʻan al-rukūʻ "fajtahidū fī al-duʻā'"

ويُناجِيه سبحانه وتعالى[١٢٢]. وممَّا وَرَد: أنه صلى الله عليه وسلم إذا سَجَد، قال: «اللهم لكَ سَجدْتُ، وبكَ آمَنتُ، ولكَ أَسْلَمتُ، سَجَد وَجْهِي لِلَّذي خَلَقَه، وصَوَّرَهُ، وشَقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، تَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين»[١٢٣]. ولابن القيم كلامٌ في هَيْئته بأنْ يُباشر الأرض وَجْهه دون حَائِل، وأنْ يَأخذ كلَّ عُضوٍ حظَّه[١٢٤].

المطلب الخامس: من مظاهر الخشوع ومَقَامَاته التي لم يَذكرها ابنُ رجب

أولًا: من مظاهر الخشوع في الصلاة التي لم يَذكرها ابنُ رجب

وهناك مظاهرٌ أخرى للخشوع في الصلاة، ذَكرها بعض الفقهاء ولم تُذكر في الكتاب كمثل:

١- كَشْفُ اليدَيْن في تَكبيرة الإحرام أَظهرُ في الخُشوع: يُسنُّ للمصلِّي عند "تَكبيرة الإحرام" أنْ يَرفع يدَيْه؛ واتَّفَق الفقهاء على هذا[١٢٥] والأَفضل (أنْ تكون يَدَاه مَكشوفتَيْن؛ لأن كَشفَهما أدلُّ على المقصود، **وأظهر في الخضوع**)[١٢٦].

٢- الجلوس على الرُّكبتَين عند التَّشهُدَين أَظْهر في الخشوع، وكراهية التَّربُّع: وكَرِه بعض الفُقهاء التَّربع في صلاة الفريضة عند التَّشهدين، (وصرَّح الحَنفية بكراهة التَّربُّع من غير

[122] ʻAbd al-Raḥmān Ibn Rajab al-Ḥanbalī, *Al-Khushūʻ fī al-Ṣalāḥ*, 78.

[123] Akhrajahu Muslim fī Ṣaḥīḥ, bi raqmi: 479. Muslim Ibn al-Ḥujāj al-Nīsābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim*, 1: 348. Kamā warada al-istigfār fī al-sujūd: fī ṣaḥīḥ Muslim bi raqmi 483. Muslim Ibn al-Ḥujāj al-Nīsābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim*, 1: 350.

[124] Fayadzkuru Ibn al-Qoyyum fī Hai'atihi: (wa man kamāluhu al-wājib aw al-mustaḥabbu mubāshirahu muṣallan bi adīmi wajhihi wa ʻitimaduhu ʻala al-ard bi haitsu yanaluha tsiqala ra'suhu wa irtifaʻ asāfiluhu ʻalā aʻalihi, fahādzā min tamāmi al-sujūd. Wa man kamāluhu an yakūna ʻalā ha'iatin ya'khudzu fīhā kulla uḍwin min al-badan bi haẓẓihi min al-khudūʻ fayaqillu batnuhu ʻan fakhadzaihi ʻan saqaihi, wa yujafa ʻAuddaihi ʻan janabaihi wa la yafrishuhuma ʻala al-ard la yastaqilla kullu uḍwin minhu bi al-ʻubūdiyyah). Muḥammad Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah, *Al-Ṣalāh wa Ahkāmu Tarkuhā,* 148.

[125] Wizārah al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 1-23 (al-Kuwait: Dār al-Salāsila), Thumma tawālat Ṭab'ātihā, 27: 84.

[126] Wizārah al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 1-23, 27-86.

عُذر)[١٢٧]. والتَّربُّع هو: (أنْ يَقعُد الشَّخص على وَرِكَيه، ويَمدُّ ركبته اليمنى إلى جانب يمينه، وقدَمه اليمنى إلى جانب يَساره. واليُسرى بعكس ذلك)[١٢٨]. وذَكر الفقهاء أن (الجلوس على الرِّكبتَين -في التَّشهدَين- **أقرب إلى الخشوع**، فكان أَولى)[١٢٩] وغير ذلك من الأمور. وما سيأْتي مقاماتٌ أخرى أَفردتُها بعنصرٍ خاص.

ثانيًا: مَقَام حَمْد الله عند الرَّفع من الرُّكوع

وهذا الموضوع لم يَتطَرَّق له الحافظ ابن رجب، وإنما أَذكرُه لأَجل المناسَبة في ذِكر المَقَامات في الصلاة، وأهمية هذا الأَمر. وليس بالضَّرورة أن يَذكر جميع مظاهر الخشوع، وعلاقة حمد الله عند الرفع من الركوع بالخشوع أنه يَتذكَّر معاني الحمد لله عند الرفع من الركوع. ويَتفهَّم ما يقوله عند الرفع، وأن أَغلبَ ما وَرَد من الأدعية عند الرَّفع منه حَول معاني الحمدِ لله؛ ومن هنا جاء استنباطُ مَقَام حَمْد الله عند الرَّفع من الرُّكوع.

(ويُطْلقُ الفُقَهاء كَلمة الاِعْتِدَال على أَثَر الرَّفْع من الرُّكوع أو السُّجود). والجمهور يَرَون أن الاِعْتِدَال من الركوع والسجود فَرضٌ، وعند الحَنفيَّة أنه سنةٌ[١٣٠].

والتَّحْميدُ -قول: «ربنا ولك الحمد»- عند اسْتِواء الرَّفع من الرُّكوع في الصلاة واجبٌ عند الحَنابلَة، وسنَّةٌ عند الحنفيَّة والشَّافعيَّة للمَأْموم والمُنْفَرد[١٣١]. كما أن الفقهاء تكلَّمُوا عن تَفصِيلَاتٍ فيما يتعلَّق بوجوب الاطْمِئنان في الاِعْتِدال وما إلى ذلك من المسائل[١٣٢]. وابن رجبٍ لم يتحدَّث عن هذه المسالة.

---

[127] Wizārah al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 1-23, 11: 161.

[128] Wizārah al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 1-23, 11-159.

[129] Wizārah al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 1-23, 11-161.

[130] Wizārah al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 1-23, 5: 203.

[131] Wizārah al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 1-23, 10: 268.

[132] Wizārah al-Awqāf wa al-Shu'ūn al-Islāmiyyah bi al-Kuwait, *al-Mu'assasah al-Fiqhiyyah al-Kuwaitiyyah*, 1-23, 5: 203

والذي أُريد الحديث عنه، أنه وَرَد عددٌ من الأدعية في هذا المقام بحَمْد الله تعالى والمبالغة في حَمدِه جلَّ ثناءه؛ ممَّا استحقَّ أنْ يوصف هذا المقام بمَقام حَمد الله، وممَّا وَرَد من الأدعية:

أ- في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رَفَع رَأْسَه من الرُّكوع قال: «اللهمَّ رَبَّنا لكَ الحَمدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ ومِلْءُ الأَرضِ، وما بينهما، ومِلْءُ ما شِئْتَ من شَيءٍ بعدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ والْمَجْد، لا مَانِع لمَا أَعطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لمَا مَنعْتَ، ولا يَنْفعُ ذَا الجَدِّ مِنْك الجَدُّ»[١٣٣]. فهو ربُّنا أهلٌ للثَّناء وأهلٌ للحَمْد بكلِّ صُورِه ومجَامِعه.

ب- وعن رِفَاعَة بنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ رضي الله عنه قال: كنَّا يومًا نُصلِّي وَرَاءَ النبي صلى الله عليه وسلم فلمَّا رَفَع رَأْسَه من الرَّكعة قال: سَمِعَ اللهُ لمَنْ حَمِدَهُ، قال رجلٌ وَرَاءَه: رَبَّنا ولكَ الحَمدُ حَمدًا كَثيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه، فلمَّا انْصرفَ، قال: «مَن المُتكَلِّمُ» قال: أنا، قال: «رَأَيتُ بِضْعةً وثَلاثينَ مَلكًا يَبْتدِرُونها أَيُّهم يَكْتُبها أَوَّل»[١٣٤] فلَه سبحَانه الحمدُ الكامل والكثير الطَّيب.

فعلينا الاِهتمامُ والاِسْتِشعَار بهذا المقَام؛ وقد وَرَد عن صلاته صلى الله عليه وسلم بأنه "إذا رَفَع رَأْسَه من الرُّكوع، قَامَ حتَّى نَقولَ: قد نَسِيَ"[١٣٥].

ثالثًا: دلالة التَّشهُّد الأخير على الخشوع ومَقامَاته

وهذا الموضوع لم يَتطرَّق له الحافظ ابن رجبٍ أيضًا، وأَغلبُ الظَّن أنه أراد الاختصار، وإلَّا فإن ابنَ رجبٍ حافظٌ ولا يَخفى عليه الأحاديث في هذا الباب[١٣٦]. وأَتطرَّقُ لهذا المقام

[133] Akhrajahu Muslim fī Ṣaḥīḥihi, bi raqmi: 478. Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim*, 1: 348.

[134] Rawāh al-Bukhārī fī Ṣaḥīḥ, bi raqmi 799. Al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, 1: 159.

[135] Rawāh al-Bukhārī fī Ṣaḥīḥ, bi raqmi 799. Al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī,* 1: 159

[136] Wa yuqowwī hādhā al-rāwī: annahu sarraha ʻinda sharḥahu li kitāb al-Bukhārī, bi qawlihi: (fa amma al-duʻāʼu qabla al-salām fī al-tashahud al-akhīr, fa innahu mashrūʻun bi ghairi khilāfin. Wa ḥakā Ibn al-Mundzir, ʻan al-Ḥasan al-Baṣrī annahu kariha al-duʻāʼu fī al-maktūbah, wa abāḥahu fī al-taṭawuʻi. Wa

لأهميته وللمناسَبةِ في ذِكر المَقامات. والتَّشهد هو الجزء الأخير في الصلاة، ومن مَقَامَاته: مقام الدعاء والاستغفار في التَّشهد، وفيه مَعنى طَلَب المغفرة من الله قبل نهاية أداء العبادة؛ بأنْ يُجْبِر النَّقص الحاصل فيها. ويَذكر الفقهاء أن موضِعَ التَّشهد من مواضع استِجَابة الدعاء.

وممَّا وَرَد من حديث عليٍ رضي الله عنه: ثم يَكون من آخِر ما يَقول بين التَّشهُّد والتَّسْلِيم: «اللهمَّ اغْفِر لِي ما قَدَّمتُ وما أَخَّرتُ، وما أَسْرَرتُ وما أَعلَنتُ، وما أَسْرَفتُ، وما أنت أَعلمُ به منِّي، أنت المُقَدِّمُ وأنت المُؤَخِّرُ، لا إله إلَّا أنتَ»[١٣٧]. ودعاء الاستِعَاذة[١٣٨].ودعاء وَصيَّة النبي صلى الله عليه وسلم لمُعاذٍ رضي الله عنه[١٣٩].

---

la‘allahu arāda fī ghairi al-tashahud alaihi. Al-du‘a= qabla al-salām fī tashahud al-akhīr- ḥadīth Ibn Mas‘ūd hādzā, wa laysa huwa bi wājibin kamā dzikrihi al-Bukhārī, wa min al-ulamā man ḥākā al-Ijma‘ ‘alā dhālika). ‘Abd al-Raḥmān Ibn Rajab al-ḥanbalī, *Fatḥ al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukharī*, taḥqīq: Maḥmūd Ibn Sha‘bān Ibn ‘Abd al-Maqsūd wa jamā‘ah min al-muḥaqqiqin (Al-Madīnah al-Nabāwiyyah: Maktabah al-Ghurābā’a al-Atsāriyah, 1996), 7: 343

Wa hunā ta‘līqat ‘alā kalām al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab:

Awwalan: Murāduhu min qaulihi : (wa min al-ulamā man ḥākā al-ijmā ‘alā dzālika) ay: ‘alā adamu wujūb al-du‘a fī al-tashāhud al-akhīr qabla al-akhir.

Thānian: qauluhu: (wa laysa huwa bi wājibin kamā dzikruhu al-Bukhārī), li anna al-Bukhārī bawwaba bi adami al-wujūb. Fa qāla: (bābu: ma yatakhayyaru min al-du‘ā ba‘da al-tashāhud wa laysa bi wājibin). Al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab, 7: 341.

Thālisan: Ḥadīth Ibn Mas‘ūd, yurīdu: ḥadīth ‘Abd Allāh Ibn Mas‘ūd raḍi Allāh anhu, qāla: kunnā idzā kunnā ma‘a al-nabī Ṣallahu alaihi wa sallam fī al-Ṣalāh, qulnā: Al-salām ‘alā Allāh min ibādihi, Al-salam ‘alā fulān wa fulān, fa qāla al-Nabī Ṣallahu alaihi wa salam: (la taqūlū al-salām ‘alā Allāh, fa inna Allāh huwa al-salām, wa lakin qūlū: al-tahiyyah Allāh wa al-Ṣalawat wa al-Ṭayyibāt, Al-salāmu alaika ayyuha al-Nabī wa rahmah Allāh wabarakātuh, Al-Salāmu alainā wa ‘alā ‘ibād Allāh al-Ṣāliḥin. Fa innakum idzā qultum aṣaba kulla ‘abdin fī al-samā aw baina al-samā wa al-arḍ, Ashadu an lā ilāha illa Allāh, wa Ashhadu anna muḥammad ‘abduhu wa rasūluhu, tsumma yatakhayyaru min al-du‘a ajābahu ilahi, fa yad‘u). Rawāh al-Bukhārī fī Ṣaḥīḥ, bi raqmi 835.

[137]Akrajahu Muslim fī Ṣāḥīḥ, bi raqmi 771. Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, *Ṣāḥīḥ Muslim*, 1: 535.

[138][Idhā Tashahhada fa al-yasta‘idh bi Allāh min arba‘īn yaqūlu: Allahumma inni a‘ūdzubika min adzābi Jahannam, wa min adzābi al-Qabru, wa min fitnati al-maḥya wa al-mamāt, wa min sharri fitnah al-masīh al-dajjal. Akrajahu Muslim fī Ṣāḥīḥ, bi raqmi 771. Muslim Ibn al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, *Ṣaḥīḥ Muslim*, 1: 412.

خلاصة البحث ونتائجه

– حَرِص علماء الأمة على توجيه الناس إلى المقصود من أعمالهم وحياتهم، ألَا وهو استقامة الصلاة وأَدائها بالخشوع والطَّمأنينة، كما في صُنع ابن رجب في كتابه هذا.

– اهتمَّ المحقِّقون وأصحاب الدُّور بنَشْر كتاب ابن رجب هذا، فقد وُجِد له عدَّة طبعاتٍ وعددٌ من المحققين، كما أن الكتاب عُرف باسْمَين، ولهذا أَثبت المحقِّق طارق حِجازي الاسمَين في غلاف الكتاب.

– كما أن الكتابة في "الخشوع" بصفةٍ عامةٍ لم تَنقَطِع، فهناك معاصرون أَلَّفُوا في الخشوع. كما تقدَّم في مَوضِعه.

– تَذْكير الناس بأهمية الخُشوع في الصلاة؛ حتى لا نكون في الموضع المقصود من الحديث – بأنه وقت رفع الخشوع المَذكور في الحديث–. وأن من علامة الساعة قلَّة الخشوع في الصلاة.

– إن ابن رجبٍ نبَّه إلى أن العلم ليس هو بكَثْرته ولا بالقُدْرة على الكلام، ولكنْ هناك جانبٌ آخر له وهو ''العلم النَّافع'' الذي يُباشر القلب ويُورث السَّكينة، وهو الذي عَنَاه الحسن البصري ب''عِلم القَلب''. وهو المقصود في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]. فهو علمٌ يُورث الخشية لله تعالى. ولهذا أهل الكتاب لا ينتفعون بما في أيديهم رُغم تلاوتهم وقراءتهم لها؛ لأنهم فَقَدوا المقصود منها، وهو أنْ يَصل هذا العلم إلى القلوب حتى يجدوا الإيمان وحلاوته، وبتحقيق المراد الحقيقي يحصل الخشية؛ فوجَبَ التَّنبه لهذا العِلم والسَّعي في تَحصيله وتَحقيقه.

---

[139] [Ushika ya Mu'adz, la tad anna fī duburi kulli Ṣalātin. Taqūlu: Allahumma A'inni 'alā dzikrika wa shukrika wa husnu ibādatika]. Akhrajahu Abū Dāwud fī Sunanihi, bi raqmi 1522. Sulaiman al-Shijistānī Abū Dāwud, *Sunan Abī Dāwūd*, taḥqīq Muḥammad Muḥyi al-Dīn 'Abd Ḥamīd (Saidan/ Beirūt: al-Maktabah al-'Asriyyah), 2: 86. Wa tamma al-farāgha minhu bi Muḥammad Allāh wa quwwatihi fī yaumi al-Jum'ah fī mantiqah qumbaka (22-12-2014). Wa al-ta'dil al-iḍāfī fī yaumi al-Jum'ah aidan (04-12-2015). Wa Ṣallah Allāh 'alā nabiyyina Muḥammad wa 'ala alihi wa ṣohbihi ajma'in.

– يَرى ابن رجب أن الخشوع أصلُه من (لِين القلب ورِقَّته) وذلك أنه نَظَر إلى مَنْبعه ومَنشَئه الأساسي، وأنه عَملٌ قلبيٌ في غالبه.

– ومن هذا ندرك أن الخشوع له جانبان: جانب الفِعْل وتَركه، وهذا الاتِّجاه هو اتِّجاه الإمام ابنُ الجوزي، فعندما ذَكر تعريف الخشوع ذَكر ثلاثة أقوال وكلُّها متعلقةٌ بالفِعْل، إما بِفِعْل الفِعْل ''كالسُّكُون في الصَّلاة، وقال به التابعي مجاهد، والنَّظَر إلى مَوَاضِع السُّجود''. أو تَركِ الفِعل وذَكر ''تَرْكُ الالْتِفَات في الصلاة، قالَه عليٌ رضي الله عنه''. والجانب الثاني: جانبٌ قلبيٌ في الغالب؛ ولهذا جَعَل ابن رجب أَصلَ معنى الخشوع بأنه متعلِّقٌ بالقلب ورِقَّتِه.

– نبَّه ابن رجب إلى أن الصلاة لَيست حَركاتٍ تُؤدَّى فقط، ولكن في الصلاة خشوع القلب وحضوره، وفيها مقامات، فمقام الذُّل والعبودية حاضرةٌ في الصلاة من بداية الوقوف حتى التَّسليم.

– من مظاهر الخشوع في الصلاة: النَّهي عن الإلْتفات في الصلاة، وبيَّنَ ابن رجب أن معنى ''النهي عن الإلتفات في الصلاة'' متَّجهٌ إلى أمرَين: ١– الإلتفات القلبي، وهو اِلتفاتُ القلب إلى غير الله تعالى. ٢– والإلتفات بالنَّظَر يَمنةً ويَسرةً، وأنْ يَقصُر النَّظر إلى مؤضِع سُجوده. وهذا المظهر تحدَّثَ عنه وذَكر النصوص فيه؛ إشارةً إلى أهميته. كما أن هناك مظاهرًا أشَارَ إليها ولم يَتحدَّثْ عنها –كأنْ تُذكر في قول أحد المفسِّرين– ومن هذا الباب: كالنَّظَر إلى مَوضِع السجود، وغَضِّ البَصَر، ولِينِ الكَتِف في الصلاة.

وفي هذا البحث بعض الاستدراك والإضافة على ابن رجب، ومن هذا الباب:

– من الخشوع ما هو واجبٌ ولا تَتمُّ الصلاة إلَّا به، وهو أَداء أَركان الصلاة بطَمَأنينة، وعدم كَثرة الحركة المؤَدِّي إلى بطلانها، ومن الخشوع ما هو مستحبٌ كالنَّظر إلى مؤضِع السجود ووَضْع اليدَين على الصَّدر.

– خُشوع الباطِن في الصلاة –كما وَصَف بهذا الإمام ابن تيمية– يَتَفاوت الناس فيه، وقد ذَكر الإمام ابن القيم خَمس مَراتب للناس مع حالِ خشوعهم في الصلاة.

– في الصلاة مَقاماتٌ مرتبطةٌ بالخشوع في الصلاة، فالإنسان الخاشعُ –وهو يصلِّي– سوف يَتذكَّر تلك المقامات ومَعانيها ومُرادها عندما يصلِّي، ولا تَمرُّ عليه تلك اللَّحظة –وهو يَنتقل بين أركان الصلاة– دون أنْ يَسْتَشعِرها. ومن هذه المقامَات التي وقفتُ عليها: مَقام

تَعظيم الله في الركوع، ومقام حَمْد الله عند الرَّفع منه، ومقام الدعاء في السُّجود، ومقام الدعاء والاستغفار بعد التَّشهُّد وقبل التَّسليم. بالإضافة إلى المقام الذي ذَكره ابن رجب وهو: مقام اسْتِشعَار الذِّلِّ لله عند الوقوف في الصلاة.

References

Abī Na'īm, Aḥmad al-Aṣbahānī. *Ḥilyah al-Awliyā' wa Ṭabaqāt al-Aṣfiyā'*. Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, 1988.

Abū Dāwud, Sulaymān al-Sijistānī. *Sunan Abī Dāwūd*, taḥqīq Muḥammad Muḥyi al-Dīn 'Abd Ḥamīd. Saidan/ Beirūt: al-Maktabah al-'Asriyyah.

Al-Bukhārī, Muḥammad Ibn Ismā'il. *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī,* taḥqīq Muḥammad Zahīr al-Nāṣir. n.p.: Dār Tūqa al-Najāh, 2001.

Al-Ghazālī, Muḥammad Abū Ḥamīd. *Iḥyā' Ulūm al-Dīn*. Beirūt: Dār al-Ma'rifah.

Al-Maghribī, 'Abd Allāh bin Ḥusayn. *Āyāt al-Khushū' fī al-Qur'ān wa Athāruha fī al-Tarbiyyah*. 'Amman, al-Urdun: Bayt al-Afkār al-Dawliyyah, n.d.

Al-Maqdisī, 'Abd al-Ghanī Ibn 'Abd Wāḥid. *Akhbar al-Ṣalāh*, taḥqīq: Muḥammad 'Abd al-Raḥmān al-Nābilsī. Damshik: Dār al-Sanābil, 1995.

Al-Marwazī, Muḥammad Ibn Nasr *Ta'ẓīm Qodr al-Ṣalāh,* taḥqīq 'Abd al-Raḥmān Ibn al-Jabbār al-Farīwā'ī. Al-Madīnah: Maktabah al-Dār, 1985.

Al-Nasā'ī, Aḥmad Ibn Shu'ayb. *Sunan al-Nasā'ī,* taḥqīq 'Abd al-Fattaḥ Abū Ghudah. Ḥalab: Maktab Maṭbā'ah al-Islamiyah, 1986.

Al-Tirmidhī, Muḥammad 'Īsā. *Sunan al-Tirmidhī*, taḥqīq wa ta'liq: Aḥmad Muḥammad Shākir wa Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī. Miṣr: Shirkah Maktabah wa Maṭba'ah Muṣṭafā al-Bābi al-Ḥalabī, 1975.

Ibn al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, Muslim. *Ṣaḥiḥ Muslim*, taḥqīq Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī. Beirūt: Dār Iḥyā' al-Turath al-'Arabī.

Ibn 'Alī al-Naḥwī, 'Adnān. *Al-Khushū'*. al-Riyāḍ: Dār al-Naḥwī li al-Nashr wa al-Tawzi', 1995.

Ibn al-Jawzī 'Abd al-Raḥmān, *Al-Tabṣirah*. Beirūt: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah, 1986

Ibn al-Qayyīm al-Jawziyyah, Muḥammad. *Al-Fu'ād*. Beirūt: Dār Kutub al-'Ilmiyah, 1973.

Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, Muḥammad. *Al-Ṣalāh wa Aḥkāmu Tarkuhā.* Al-Madīnah al-Munawwarah: Maktabah al-Thaqāfah, n.d.

Ibn Jarīr al-Ṭabarī, Muḥammad. *Jāmi' al-Bayān,* taḥqīq Aḥmad Shākir. N.d.: Mu'assasah al-Risālah, 2000.

Ibn Qayyīm al-Jawziyyah, Muḥammad. *Al-Wābil al-Saib min al-Kalām al-Ṭayyib*, taḥqīq Sa'īd Ibrāhīm. Al-Qāhirah: Dār al-Ḥadīth, 1999.

Ibn Rajab al-Ḥanbalī 'Abd al-Raḥmān. *Fatḥ al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukharī,* taḥqīq Maḥmūd Ibn Sha'bān Ibn 'Abd al-Maqsūd wa jamā'ah min al-Muḥaqqiqin. Al-Madīnah al-Nabāwiyyah: Maktabah al-Ghurābā'a al-Atsāriyah, 1996.

Ibn Rajab al-Ḥanbalī, 'Abd al-Raḥmān. *Al-Dhullu wa al-Inkisār li al-Azīz al-Jabbārī aw al-Khushū' fī al-Ṣalāh,* taḥqīq Ṭāriq Ibn 'Āṭif Hijāzī (al-Qāhirah: Dār al-Risālah, 2009.

Ibn Rajab al-Ḥanbalī, 'Abd al-Raḥmān. *Al-Khushū' fī al-Ṣalāh*, taḥqīq Aḥmad Muṣṭafā al-Ṭahāwī. Al-Qāhirah: Dār al-Faḍīlah, n.d.

Ibn Rajab al-Hanbalī, 'Abd al-Rahman. *Al-Majmu' Rasā'il al-Ḥāfiẓ Ibn Rajab*, taḥqīq Talat al-Ḥalwānī. Al-Qāhirah: al-Farūq al-Ḥadīthah li al-Ṭaba'ah wa al-Nashr, 2002.

Ibn Taymiyyah al-Ḥarānī, Aḥmad. *Majmū' al-Fatāwā: Taḥqīq 'Abd al-Raḥmān Ibn Qāṣim*. Al-Madīnah al-Munawwarah: Majmū' al-Mulk Fahada li al-Ṭabā'ah al-Muṣḥaf al-Sharīf, 1995.

Maktabah Shamilah.

Manṣūr Ibn Yūnus al-Bahūtī. *Kishaf al-Qanā'i an Matan al-Iqnā'i.* Damaskus: Dār Kutub al-'Ilmiyyah, n.d.

Min mawq'i: Multaqā ahl al-Ḥadīth (www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=1257). Tārīkh al-Ziyarah: (12-11-2014)

Min mawqi'u: http://IslamHouse.com/471724. Tārīkh al-Ziyārah: (19-11-2014).

Raqayyah al-Maharib, kayfa takhshi'ina fī al-Ṣalaḥ, (n.p.: n.p., 2009), (Maktabah al-Shamilah),

Ṣāliḥ, Ibn Ḥamīd. *Nuḍroh al-Na'īm fī Makārimi Akhlāq al-Rasūl al-Karīm*. Jeddah: Dār al-Waṣīlah li al-Nashr wa al-Taujī'.